شرح فضل الإسلام

لفضيلة الشيخ المحدث

خالد بن ابراهيم الفليج

الشريط: 1.

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.

باب فضل الإسلام

وقول الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3]، وقوله تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ} [يونس: 104] الآية، وقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: 28].

وفي الصحيح عن ابن عمر –رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أُجراء، فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقل أجرًا؟ قال: هل نقصتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: ذلك فضلي أُوتيه من أشاء).

وفيه أيضًا عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة).

وفيه تعليقًا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) انتهى.

وعن أُبي بن كعب –رضي الله عنه- قال: (عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبدٍ على سبيل وسنة ذَكَر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله، فتمسه النار، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عنها ورقها إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة).

وعن أبي الدرداء –رضي الله عنه- قال: (يا حبذا نوم الأكياس، وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين، أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين).

*****الشرح*****

قوله: بسم الله الرحمن الرحيم: ابتدأ شيخ الإسلام –رحمه الله- بالبسملة دون أن يعقبها بمقدمة اكتفاء بالبسملة عن غيرها، وكأنه أراد بذلك أن يسلك ما سلكه البخاري –رحمه الله-، فقد ابتدأ صحيحه ببسم الله الرحمن الرحيم، وأهل العلم يبتدؤون البسملة اقتداء بكتاب الله، حيث إن ربنا ابتدأ كتابه ببسم الله الرحمن الرحيم، وأيضًا ابتدأ سوره ببسم الله الرحمن الرحيم، واقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب إلى هرقل عظيم الروم كتابًا ولغيره فإنه ابتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، وجريًا على عادة أهل العلم في كتبهم، وأيضًا لما ورد في هذا من أحاديث وإن كان ليس منها شيئًا صحيحًا عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي أحاديث كل ما جاء في فضل الابتداء بالبسملة فهو أحاديث باطلة ليس فيها شيء محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا في فضل البسملة شيء يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: لم يبتدئ المؤلف بمقدمة من جهة حمد الله عز وجل، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكأنه يريد بهذا أنه اكتفى بكلام الله عز وجل، وأن كلام الله لا يُقدم عليه غيره، فلما أراد أن يذكر الأدلة على فضل الإسلام، وكون هذه الأدلة هي من كتاب الله عز وجل، اكتفى بذكر هذه الآيات عن أن يذكر مقدمة تدل على فضل ما أراد تبيينه وهو فضل الإسلام.

ولا شك أن أعظم نعمة يتقلب فيها العباد هي نعمة الإسلام، في الدنيا وفي الآخرة، فهذا الدين العظيم وهو دين الإسلام الذي خصك الله عز وجل به هو أعظم نعمة حباك الله إياها، وذلك أن غير المسلم يترتب على تركه للإسلام الشقاء الأبدي في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا يلزم المعرض عن دين الله عز وجل الشقاء، قال سبحانه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه: 124]، ولا شك أن حياة الكافر، وحياة المعرض عن دين الله عز وجل والجاهل بما أراده الله عز وجل منه أنها في شقاء وضلال وفي ضياع، ولذا قال تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} [الأنعام: 122]، فجعل الذي لا يعرف الله ولا يعرف دين الله ولا يعبد الله، كالميت، {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ} [فاطر: 22]، فالأحياء أحياء والأموات أموات، وليس الأمر ينتهي عند موتهم فقط، بل بموت هذه الأجساد والأرواح هم مع موتهم في عذاب في الدنيا وفي عذاب في

الآخرة، وعذابهم لا ينقطع أبدًا بخلاف المسلم الذي حباه الله عز وجل هذا الدين، وكرمه بهذه النعمة، فإن نعمة الإسلام تنشرح بها الصدور، وتقر بها الأعين، ولو أردنا أن نذكر شيئًا من الآثار المترتبة على تلبسك بالإسلام لرأيت من ذلك الشيء العجيب.

فانظر إلى أحوال الكفرة في مصائبهم إذا أصابتهم مصيبة، فعندما يصاب بمصيبة، فإن المسلم يذكر بذلك أن هذه المصيبة تكون كفارة لذنوبه، فإذا احتسبها وصبر عليها، كان له ذلك أجرًا، وارتفع به عند الله درجات، وأما الفاجر فهو كالبهيمة التي حبسها أهلها لا تدري فيما حُبست ولا تدري فيما تُركت، فالكافر إن مرض لم ينفعه مرضه، وإن شفي لم ينفعه شفاؤه وعافيته، بخلاف المسلم فإنه إذا عوفي شكر، وإذا مرض وابتلي صبر، وكان في ذلك مأجورًا في جميع أحواله، قال صلى الله عليه وسلم: (عجبًا لأمر المؤمن كل أمره خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك إلا للمؤمن)[1]، وقال سبحانه: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ} [المعارج: 19 - 22]، وخص المصلين؛ لأنهم أخص أهل الإسلام، وهذا الحكم يشمل المسلمين، فإنه لا يهلع عند المصائب، ولا يجزع، وإنما يصبر ويحمد.

ولذا فإن الكافر لا يرجو آخرة ولا يرجو جنة ولا يخاف نارًا بخلاف المسلم، ولذلك شبه الله عز وجل الكفار بأنهم كالأنعام بل هم أضل، {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} [الأعراف: 179]، بل إن الأنعام أكرم منهم حالًا؛ لأن الأنعام تعيش لمقصد أراده الله عز وجل منها وهي أن تنكح وأن تتكاثر، فمنها ما يؤكل ومنها يريد الله عز وجل منه شيئًا فيه منفعة وفيه أمر أراده الله عز وجل، وأن البهائم بموتها تكون ترابًا يوم القيامة فلا حساب ولا عذاب، وأما الكفرة فهم في شقاء في الدنيا كالأنعام، ويعيشون عيشة البهائم أكلًا وشربًا ونكاحًا لمن نُعِّم منهم بذلك، ثم في الآخرة إلى النار وبئس المصير.

وقد ذُكر في ترجمة بشر بن الحارث الحافي –رحمه الله- أنه كان يقول متذكرًا فضل الله عليه: تذكرت بشر اليهودي، وتذكرت بشر النصراني، وتذكرت بشر المجوسي، وتذكرت بشر المسلم، فما الذي خصني من هؤلاء أن أكون مسلمًا ويكون أولئك كفارًا.

1

فأنت ولدت بين أبوين مسلمين ولك أن تتخيل لو وُلدت بين أبوين كافرين، أو يهوديين، أو مجوسيين، أو نصرانيين، لكنت مثلهم، لولا أن الله منّ عليك وتفضل عليك بأن هداك بهذا الدين العظيم، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام ونحن لا نعقل ما معنى الإسلام، فنسأله الثبات عليه، وأن يميتنا على هذا الدين، وأن يبعثنا عليه، ولذا كان ابن عمر –رضي الله عنهما- يقول: اللهم إنك هديتنا للإسلام ولم أسألك، فأسألك أن تميتني عليه، وأنا أسألك الثبات عليه. فهذا الذي ينبغي على المسلم أن يحمد الله دائمًا وأبدًا على نعمة الدين، فنعم الأجساد تنتهي وتتلاشى بموت الأبدان، وأما نعم الأرواح التي تتعلق بهذه الروح وما يتعلق بالأديان والعقائد فهذه نعم تدوم في الدنيا وتدوم في الآخرة، فلو أن الإنسان أصيب بأنواع الأمراض والبلايا وهو مسلم كان خيرًا مما سلم من تلك الأمراض والبلايا وهو كافر، فعندما تعرض مسلمًا وكافرًا، مسلم يتعذب بأمراضه وأسقامه وهو على التوحيد والإيمان، وذاك يتنعم بكل شيء من متاع الدنيا، الفرق بينهما: أن ذلك صبغة في نار جهنم تنسيه كل نعيم، وذلك المسلم صبغة في الجنة تنسيه كل شقاء وكل تعب مر به في الحياة الدنيا، فهؤلاء لهم الخلود الأبدي في نار جهنم لمن حُرم الإسلام، والمسلم وإن دخل النار فمآله إلى الجنة، فالإسلام إما أن يوجب لك الجنة ابتداء دخولها، وإما أن يحرم عليك الخلود في النار، فإن دخلت النار فالإسلام يحرم عليك التأبيد، وإن لم تدخلها فالإسلام يبادر بك إلى الجنة داخلًا.

قوله: وقول الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3]: في هذه الآية يدل على عظيم فقه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وقوة استدلاله، وحسن استنباطه، فهذه الآية تدل على فضل الإسلام؛ لأن الكتاب في فضل الإسلام، فناسب أن يذكر ما يدل على فضله، ويؤخذ من الآية فوائد:

الفائدة الأولى: أن هذا الدين قد أكمله ربنا سبحانه وتعالى، فقال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}، فليس لديننا نقص يحتاج تكميلًا، بل هو كامل تام أكمله الله عز وجل، ولذا فإن من زاد في هذا الدين ما ليس منه فهو مبتدع ضال، وهذا من خصائص هذا الدين، ومن فضائله أن الله أكمله.

ومفهوم هذه الآية أن الأديان التي قبلنا لم تكن كاملة؛ لأن الله عز وجل خص هذا الدين بالكمال، وجاء في صحيح البخاري عن عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب، أن رجلًا، من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرءونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: أي آية؟ قال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3] قال عمر: قد عرفنا

ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بعرفة يوم جمعة[2].

وفي رواية أن هذا الرجل هو كعب الأحبار، فهذه الآية عندما استشعرها كعب الأحبار قال: لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. لأن الله بهذا اليوم أكمل ديننا وفضلنا على سائر الأديان، ولذا فإن دين الإسلام هو أفضل الأديان وأكملها وأوسعها وهو الذي لا يقبل الله دينًا يوم القيامة إلا به، وكل دين سوى الإسلام فإنه بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقبله الله عز وجل، كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)[3]، حتى اليهودي الذي على الدين اليهودي الصحيح، والنصراني الذي على الدين النصراني الصحيح بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتبعه فإن يهوديته لا تنفعه، ونصرانيته لا تنفعه.

الفائدة الأولى: أن الله عز وجل أتم علينا نعمته، ومن أعظم نعم الله نعمة الإسلام، والفرق بين الكمال والتمام: أن الكمال لا يقبل الزيادة، والتمام تقبل الزيادة، فكما أن نعمة الإسلام من أفضل النعم إلا أن هناك نعمًا تزيد غير نعمة الإسلام، فأنت عندما تكون مسلمًا فمن تمام النعمة عليك أيضًا أن تكون متبعًا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم متمسكًا وعاملًا بها، فهذا من تمام النعمة، وهناك نعم أخرى من جهة الصحة والعافية والمال والأمن وغيرها، فكل هذه نعم، فالله عز وجل يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} فالدين ليس له ما يكمله، وليس بناقص حتى يزاد فيه، وأما النعم فقال سبحانه: {وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} ولكن التمام ليس له نهاية، فهناك نعم أخرى تأتي ويكون إتمامها نسبي، فمن الناس من تكون نعمته تامة، ومن الناس من تكون نعمته أتم، وهكذا، فالنعم لا نهاية لها، وتختلف من جهة إضافتها من شخص إلى شخص، فنعمة الله تامة على فلان، وعلى فلان أتم، وعلى غيره أتم، وهكذا بتعدد النعم يكون تمامها.

الفائدة الثالثة: قوله جل وعلا: {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}، وكفى بهذا شرفًا، وكفى بهذا فضلًا، أن الله عز وجل رضي لنا هذا الدين، ولذا فإن دين الإسلام هو أفضل الأديان وأكملها، ولذا يتمنى بعض رسل الله يوم القيامة أنهم كانوا من هذه الأمة؛ لما يرون مما حبى الله عز وجل من خصائص وفضل هذه الأمة، فهذه الأمة خصها الله جل

[2] رواه البخاري (45).
[3] رواه مسلم (153).

وعلا أن بعث فيها خير رسله وأفضلهم، وخصها بأن أنزل عليها أفضل كلامه وهو القرآن، وخصها بأفضل الأديان وهو الإسلام، وخصها أنها يوم القيامة تحشر على رتوة وترفع بين الناس حتى يعرفها الناس، وخصها بأنها أكثر الأمم يوم القيامة دخولًا للجنة، فالجنة مائة وعشرون صفًا منها ثمانون صفًا من هذه الأمة، وخصها أنها أول الأمم حسابًا وجزاء، وأول الأمم دخولًا للجنة، وكل هذا من خصائص هذه الأمة وفضائلها.

قوله: وقوله تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ} [يونس: 104] الآية: الشاهد من هذه الآية أن الله يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ} ويدخل في الناس جميع أهل الأرض، من وثنيين ومن يهود ونصارى، فلا شك أن اليهود والنصارى والأحناف كانوا يعبدون الله عز وجل، ومع ذلك يقول: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي} الذي هو دين الإسلام، {فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}: أي من يعبد غير الله عز وجل فأنا لا أعبد ما يعبد، والذي يعبد الله عز وجل فأنا في دين هو أكمل من دينكم وأتم منه، {وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ}، فالشاهد أن الله قال: {إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي} فأضاف الدين له؛ لأنه دان به ربه سبحانه وتعالى، فإضافته من باب أنه أشرف الأديان وأكرم الأديان، مع أنه أدرك اليهود وأدرك النصارى، فاليهود كانوا في المدينة، والنصارى كانوا في اليمن وكان هناك نصارى في مكة والمدينة ومع ذلك يقول: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي}، ثم قسم الناس من يعبد الله ومن يعبد غير الله، فمن كان يعبد غير الله فلا أعبد الذي تعبدون، والذي يعبد الله فأنا أعبد الله على ديني الذي خصني ربي به سبحانه وتعالى.

قوله: وقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: 28]: وهذه من خصائص هذه الأمة أن الله يؤتكم كفلين من رحمته، فهذه الأمة تعطى أجرها مرتين، مرة بإيمانها بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومرة بإيمانها بالأمم قبلنا، وقد خص الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن أجورها مضاعفة، وقد على ذلك أنهم يؤتون أجرهم مرتين.

ففي الصحيح عن ابن عمر –رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أُجراء، فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة

العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقل أجرًا؟ قال: هل نقصتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: ذلك فضلي أُوتيه من أشاء)، فالله عز وجل لم يظلم اليهود ولا النصارى، ولكنه عز وجل تفضّل على هذه الأمة أن عملها يسير وأن أجرها مضاعف، ويكون المعنى {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} أن عملنا مضاعف أضعاف ما كان تعطاه اليهود وما كان تعطاه النصارى، فاليهودي أو النصراني الذي كان على الدين الصحيح إذا أُجر على عمل بحسنة، فإننا نؤجر على ذلك بحسنتين، وهكذا في كل عمل، فنحن نضاعف على أعمالهم، فعلمنا يسير وأجرنا كبير.

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة)، والله عز وجل خصنا بيوم الجمعة، طلبته اليهود فأصابت السبت، وطلبته النصارى فأصابت الأحد، وطلبناه فأصبنا اليوم الذي أراده الله لنا، فأضل الله اليهود عن الجمعة فكان نصيبهم السبت، وأضل الله النصارى عن الجمعة فكان نصيبهم الأحد، وأما نحن فهدانا الله عز وجل ووفقنا إلى إصابة اليوم الذي أراد أن يفضلنا به وأن يشرفنا به، فأجور هذه الأمة مضاعفة، وأجورهم عظيمة عند الله عز وجل، ولك أن ترى أن الذي يتبع جنازة فيصلي عليها ويتبعها حتى يفرغ من دفنها فيكون له من الأجر بقراطين، كل قيراط كجبل أحد، ولا شك أن هذا العمل يسير وجعل الله عز وجل عليه أجورًا عظيمة وحسنات كثيرة، وإذا حسن إسلام العبد كان بكل حسنة يعملها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، فأنت تعمل حسنة وإسلامك حسن فإن الله يضاعف أعمال إلى سبعمائة ضعف، والأمة خصها الله عز وجل بأن العبد إذا هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له حسنة، وإذا هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله له حسنة، فإذا عملها كُتبت له عشر حسنات، فهذا كله يدل على فضل الإسلام.

الشريط: 2.

قوله: وفي الصحيح عن ابن عمر –رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مثلكم ومثل أهل الكتابين: أي مثل هذه الأمة ومثل اليهود والنصارى.

قوله: كمثل رجل استأجر أُجراء، فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟: أي من يعمل لي من الفجر إلى وقت الظهر، فمن غدوة أي وقت الغدو والذهاب المبكر من الصباح الباكر وهو من طلوع الفجر الصادق أو من طلوع الشمس إلى نصف النهار على قيراط.

قوله: فعملت اليهود: أي عملت من الفجر إلى صلاة الظهر على قيراط.

قوله: ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم: أي أن أمة النبي صلى الله عليه وسلم عملت من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، فعملها أصبح الثلث من عمل من قبلها، فهؤلاء عملوا من الفجر إلى صلاة العصر، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم عملت من صلاة العصر إلى غروب الشمس، وأجرها أعظم.

قوله: فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقل أجرًا؟ قال: هل نقصتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: ذلك فضلي أُوتيه من أشاء: هذا الحديث يدل على فضل الإسلام، ويدل على فضل أهل الإسلام، ويدل على فضل من دان بهذا الدين، ووجه الفضل فيه: أن اليهود عملت من الغدوة إلى نصف النهار بقيراط، وجاء في بعض ألفاظ الحديث: أنهم قالوا: لا حاجة لنا بعملك. ثم عملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر بقيراط، ثم جاءت أمة محمد صلى الله عليه وسلم فعملت من العصر إلى غروب الشمس بقيراطين، فالله هو الذي ضاعف لهم الأجر، ووجه الدلالة أن عمل أمة الإسلام قليل وأجرها عظيم، فقد فرض الله عز وجل على المسلمين تكاليف يسيرة ومع ذلك أجورهم مضاعفة، ومن نظر في شرائع من قبلنا رأى أن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم تميزت بالسماحة، ولذلك بُعث بالحنيفية السمحة صلى الله عليه وسلم، فكان أبو موسى، يشدد في البول، ويبول في قارورة ويقول: إن بني إسرائيل كان إذا أصاب جلد أحدهم بول قرضه بالمقاريض[4]. فلم يكن في شرعهم غسلها وإنما يقطعونها ويرمونها، وأما في الإسلام فتغسل الثوب وتزول النجاسة.

وأيضًا جاء أن الرجل كان إذا تاب في شرع من قبلنا كُتبت ذنوبه على بابه ثم ينزل بعد ذلك أنه تاب منها وقُبلت توبته، وأيضًا لما تاب بنو إسرائيل من عبادة العجل أمرهم الله عز وجل بأن يقتل بعضهم بعضًا حتى قتلوا في غداة واحدة سبعين ألفًا، وأما في أمة الإسلام فإنه يتوب فيتوب الله عز وجل عليه، ولا يُعلن بذنبه وإنما يسر به ويكتمه ويتوب إلى الله منه فيتوب الله عليه.

وأيضًا في شرع من قبلنا كانت أعمالهم فيها شدة بخلاف دين الإسلام، فقد جاء بالسماحة واليسر.

ثانيًا: أن أجرها مضاعف، فتعطى الأجر مرتين، فيلاحظ أن اليهود عملوا أكثر عملًا ومع ذلك لهم قيراط، والنصارى عملت وعملها أيضًا كثير وإن كان أقل من

---

[4] رواه البخاري ومسلم.

اليهود ولها قيراط، ثم جاء المسلمون فعملوا أقل من ذلك فكان لهم قيراطان، فهذا هو فضل الله عز وجل يختص به من يشاء، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نحن الآخرون في الأمم السابقون يوم القيامة)، فنحن آخر الأمم من حيث الوجود وأسبقهم إلى الجنات والمنازل العالية يوم القيامة.

ثالثًا: في هذا الحديث دليل على بقاء الأمة بالنسبة لمن قبلنا، فاليهود من موسى عليه السلام إلى عيسى عليه السلام ما يقارب ألف وأربعمائة سنة، وعيسى عليه السلام إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة، فأصبح بقاء اليهود والنصارى ما يقارب ألفي سنة، ولذا نظر بعضهم في مثل هذا الحديث أن عمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ما يقارب ألف وخمسمائة سنة؛ لأنه جعل نسبتهم بالنسبة للأمم قبلنا كأنه الثلث من جهة العمل، وإن كان عمل المسلمين أقل من عمل النصارى، فيجمع زمان اليهود والنصارى فيصبح عددهم ألفي سنة، فيكون عمر أمة محمد ألف سنة ولذلك ألف بعضهم كتابًا يسمى بالألفية، وأن القيامة تقوم بعد الألف، ومن ذلك السيوطي، فله في ذلك كتاب.

وجاء في مسند الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تعجز أمتي عند ربي أن يؤخرها نصف يوم)[5]، ونصف اليوم عند الله خمسمائة سنة، ولذا قال بعضهم استئناسًا: إن عمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألف وخمسمائة سنة، فإذا بلغت الأمة ألف وخمسمائة سنة انتهت الأمة، وهذا ليس قطعًا، وإنما أخذًا من هذا الحديث، وليس هذا مقصد الحديث وإنما المقصد أن الأمة بقاؤها في الأمم قبلها ليست كالأمم قبلها، وثانيًا: أنها مع قلة عملها وقصر عملها فإن الله عز وجل ضاعف لها الأجر يوم القيامة، فهذه الأمة تؤتى مثلي أجر الأمم قبلها، فالحسنة مضاعفة، بل جاء حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة)[6]، وهذا فضل الله عز وجل يؤتيه من يشاء.

فقد فرض الله عز وجل على أمة محمد صلى الله عليه وسلم خمسين صلاة، فما زال يسأل ربه التخفيف، حتى أبقاها في العمل خمس صلوات، وفي الميزان أجر

5

6

خمسين صلاة، فتعمل ويكتب لك أن صليت خمسين صلاة، وأنت لم تصل إلا خمس صلوات، وهذا فضل الله.

ومن الفضائل أيضًا: أنك تصل على النبي صلى الله عليه وسلم، فيصلي الله عليك عشرًا، وهذا فضل الله.

قوله: وفيه أيضًا عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة): أي أن الأمم قبلنا كانوا يطلبون يوم الجمعة ويبحثون عن إدراك هذا اليوم العظيم، فهو اليوم الذي خلق الله عز وجل فيه آدم، وهو آخر الأيام الستة التي خلق الله عز وجل فيه المخلوقات، وكان في هذا اليوم خلق آدم عليه السلام، وفي هذا اليوم دخل آدم الجنة، وفي هذا اليوم أُخرج آدم من الجنة، وفي هذا اليوم تقوم الساعة، وهذا يوم عظيم شرفه الله عز وجل، وقد جاء في التوراة والإنجيل فضله فطلبته اليهود فأصابت السبت وأضلت الجمعة، وطلبته النصارى فأصابت الأحد وأضلت الجمعة، وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهداها الله عز وجل فضلًا وتوفيقًا ليوم الجمعة، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

قوله: وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة: فنجن الجمعة، واليهود السبت، والنصارى الأحد.

قوله: **نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة**: أي الآخرون من جهة الوجود، والسابقون من جهة المنزلة ودخول الجنان، وهذا حديث رواه البخاري ومسلم من طرق كثيرة، كطريق أبي الزناد، وطريق معمر عن همام عن أبي هريرة، وغيرها من الطرق، ووجه الفضل في هذا الحديث: أن الله عز وجل شرف الأمة بالجمعة، وإذا دل الله عز وجل على شرف فهذا دليل على تشريق تلك الأمة التي دُلت على هذا الشرف، وأن مما يشرفها أن الأمم قبلها تبع لها في الدنيا، فهم تبع لنا، فنحن قبلهم في الفضل، وفي الآخرة فهم تبع لنا، فنحن أول من يدخل الجنة، بل حتى في منازل الجنان هذه الأمة تسكن ثلثي الجنة، والأمم قبلنا لهم من الجنة الثلث.

قوله: وفيه تعليقًا: أي في البخاري معلقًا.

قوله: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) انتهى: الحنيفية السمحة هي دين محمد صلى الله عليه وسلم، وهي دين الإسلام، وهذا الأثر الذي علقه البخاري في كتاب الإيمان وصله في الأدب المفرد، وجاء عند أحمد في المسند وغيرهم من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن حصين

عن عكرمة عن ابن عباس –رضي الله عنهما-، وهذا الإسناد فيه داود بن الحصين عن عكرمة، ورايته عن عكرمة تكلم فيها بعض الحفاظ كابن المديني وغيره، والصحيح أن أحاديث داود بن الحصين وإن كان بها شيء من النكارة لكن يُنظر في حديثه الذي رواه عن عكرمة، فما لم ينبن عليه حكم يتفرد به وهو موافق للأصول فإن حديثه هنا يُحسن، وعلى هذا فالحديث حسن، ولذا فإن البخاري علقه بصيغة الجزم، فإسناد الحديث جيد، وله ما يشهد له أيضًا.

ومن ذلك ما رواه ابن أبي الزناد عن أبيه عن عروة عن عائشة –رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة)[7]، رواه أحمد، وأيضًا جاء عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بعثت بالحنيفية السمحة)[8]، وفي إسناده ضعف، لكن يغني عن هذا حديث عروة عن عائشة –رضي الله عنها- السابق، وهذا يدل على أن هذا الدين دين حنيفي ودين سمح، وأن أحب الأديان إلى الله عز وجل هو هذا الدين، دين الإسلام، فهذا نص في ذلك، فدين الإسلام هو أحب الأديان إلى الله، وهو أفضلها، فإن الله عز وجل خص به أفضل كلامه وهو القرآن، وخص به أفضل خلقه وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: وعن أُبي بن كعب –رضي الله عنه- قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبدٍ على سبيل وسنة ذَكَر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله، فتمسه النار، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عنها ورقها إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة: هنا ذكر المؤلف فضل التمسك بالإسلام الصحيح؛ لأن الإسلام يدخل تحته كثير من الطوائف، وإنما المراد هنا بالإسلام الصحيح، الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد لله بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، والاستسلام لله عز وجل يكون باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ولزوم هديه، فإن الذي لا يتبع هدي النبي صلى الله عليه وسلم ولا يلزم هديه وإن بقي في دائرة الإسلام فإن إسلامه فيه ما فيه من النقص، فكما أن الإسلام شعب، فهو مبني على أركان والمسلمون يتفاوتون فيه، وتفاوتهم بتحقيق الإيمان ونقصه، فمن حقق الإيمان الكامل فهو أكمل المسلمين وأفضل المسلمين، وعلى قدر ما ينقص من إيمانه على قدر

[7] رواه أحمد.
[8]

ما ينقص من إسلامه، فلما بين فضل الإسلام وفضل المسلمين، نقلك أيضًا إلى فضل التمسك بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذا الفضل الذي هو فضل الإسلام لا يتحقق ولا يكمل فضله إلا من كان على وفق هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان الدخول في الإسلام والتمسك به في حده مكرمة وشرف وفضيلة لمن أسلم، إلا أن الكرم والشرف يزيد بقدر ما تتمسك من سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: عليكم بالسبيل والسنة: المراد بالسبيل الطريق والمنهج الصحيح الموافق لسنة محمد صلى الله عليه وسلم، فهناك طرق كثيرة، فالسبيل إلى الله واحد، قال سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} [النور: 21]، وقال سبحانه: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} [يوسف: 108]، فالمراد بالسبيل هو الطريق الموصل إلى الله، ولا شك أنه طريق محمد صلى الله عليه وسلم، قال سبحانه: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: 153]، فهناك سُبل كثيرة، فإذا كان العبد على الطريق الصحيح الذي هو طريق النبي صلى الله عليه وسلم، ومن لوازم الطريق الصحيح أن يكون على سنة، ولكنه من باب ذكر الخاص بعد العام، فأخص السبيل هو لزوم السنة، فليس من باب التغاير؛ لأن السبيل من لوازمه لزوم السنة، فإذا كان العبد على سبيل وسنة أي على هدي النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يظهر الفضل هنا.

قوله: فإنه ليس من عبدٍ على سبيل وسنة ذَكَر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله، فتمسه النار: أي فإن العبد إذا كان على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله، فلا تمسه النار، فبمجرد أن تكون على سبيل وسنة وإن لم يكن لك كبير عمل وتذكر الله وتفيض عيناك من خشية الله، فإن النار لا تمسك، وليس هذا إلا لأهل السنة.

قوله: وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عنها ورقها إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة: الاقتصاد المراد به العمل اليسير ولزوم الواجبات وأنت على سنة خير من اجتهاد وأنت على بدعة، فالذي يصلي بعد العصر لله عز وجل إلى أن تغرب الشمس خير منه الذي ينام في ذلك الوقت؛ لأن هذا على سبيل وسنة، وذاك على بدعة وضلالة، فالعبرة بلزوم الهدي وطريقة محمد صلى الله عليه وسلم، وليست العبرة بكثرة العمل، ولذا أتبع هذا الأثر أبي الدرداء -رضي الله عنه-،

وأثر أُبي بن كعب –رضي الله عنه- جاء من طرق كثيرة، عند ابن أبي شيبة من طريق ابن مبارك، عن الربيع بن أنس، عن أبي داود، عن أبي بن كعب، وأبي داود هذا فيه جهالة، وجاء من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب، وهذا الطريق أحسنها، ويُنظر في سماع أبي العالية من أبي بن كعب.

قوله: وعن أبي الدرداء –رضي الله عنه- قال: (يا حبذا نوم الأكياس، وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين، أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين): هذه تسمى بمسألة هل العبر بالكم أو بالكيف؟ الناس في هذا الباب من جهة الكم والكيف لا شك أن أفضلهم من كان أكثرهم كمًا على كيفية صحيحة، أي على هدي وسنة وهو كثير العمل الصالح، صوام قوام وهو وفق هدي النبي صلى الله عليه وسلم، دونه الذي خلوه من ذلك، فليس بصوام ولا قوام وليس على هدي النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أشاقهم، وفوقه من كان كثير الكم لكنه على غير كيفية صحيحة فهؤلاء هم الحمقى الذين قصدهم أبو الدرداء، وفوق هؤلاء من كان ذا عمل يسير لكن عمله وفق سنة النبي صلى الله عليه وسلم، من جهة الأفضلية هو الذي عمله كثير وفق السنة، وأيضًا من عمله قليل وفق السنة، ولكن شرهم صاحب العمل الكثير على خلاف السنة، ويا حبذا نوم الأكياس أي أصحاب السنة والهدي والإتباع، وهم الذين أعملوا قلوبهم وجوارحهم، وهم أيضًا الذين اتبعوا ما يرضي الله عز وجل في أقوالهم وأفعالهم، ولم ينظروا إلى كثرة العمل وإنما نظروا إلى كيفية العمل، فنظروا كيف يعمل عملًا يكون أحب إلى الله عز وجل.

وقال صلى الله عليه وسلم: (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل)[9]، فإنه يعمل قليلًا لكنه على دوام، بخلاف الآخر الذي قد يعمل كثيرًا ولكنه منقطع، وهذا إذا كان على سنة، فكيف بمن كان على بدعة وضلالة، يسهر الليل قائمًا ويصوم النهار لكنه مبتدع ضال، فهذا يُغبن؛ لأنه على غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأما إذا كان يصوم ويقوم وهو على هدي النبي صلى الله عليه وسلم فلا شك أنه أفضل من ذلك النائم، وإن كان العبرة في باب الإيمان بما يقوم في القلوب، فقد يصلي الإنسان ليله كله لكنه يصلي بلا خشوع ولا حضور القلب، وإنسان آخر قد يقوم بشيء من القرآن في جزء من الليل وهو محسن متقن ويتدبر القرآن مع حضور القلب فهو أفضل؛ لأن العبرة بما يعود على النفوس من الصلاح والتقوى، فمثلًا يصوم النهار ولكن صومه كله نائم، وفيه غفلة وعدم ذكر، ويفطر ذاك وهو طول نهاره ذاكرًا متعلمًا نافعًا لغيره فلا

9

شك أن المفطر أفضل من ذلك الصائم، فالعبرة بتحقيق مراد الله والوصول إلى مرضاة الله عز وجل، وأثر أبي الدرداء جاء من طريق يزيد بن هارون أنبأنا أبو سعيد الكندي عمن أخبره عن أبي الدرداء، وهذا إسناد منقطع، وعلى هذا يُحمل أثر أبي الدرداء على ما ذكرنا.

الشريط: 3.

المتن

باب وجوب الإسلام

وقول الله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85]، وقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: 19]، وقوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: 153].

قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات.

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، أخرجاه، وفي لفظ: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد).

وللبخاري عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)، قيل: ومن يأبى؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى).

وفي الصحيح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه)، رواه البخاري، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: قوله: (سنة الجاهلية) يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي في شخص دون شخص، كتابية، أو وثنية، أو غيرهما من كل مخالف لما جاء به المرسلون.

وفي الصحيح عن حذيفة –رضي الله عنه- قال: يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا.

وعن محمد بن وضاح، أنه كان يدخل المسجد فيقف على الحلق فيقول: فذكره وقال: أنبأنا ابن عيينة، عن مجالد عن الشعبي، عن مسروق، قال عبد الله -يعني ابن مسعود- ليس عام إلا والذي بعده أشر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام

أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم.

*****الشرح*****

قوله: باب وجوب الإسلام: الإسلام له معنيان:

المعنى الأول: معنى عام، وهو دين المرسلين جميعًا، فالرسل من لدن نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم يدعون إلى الإسلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، فهذا هو الإسلام العام الذي جاءت به الرسل جميعًا، وهذا الإسلام العام يشترك فيه كل من اتبع الأنبياء، وسلك مسلكهم صلوات الله وسلامه عليهم، إلا أن الإسلام العام نُسخ صحته بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، بمعنى أن الأديان السابقة قد نسختها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يأتي آت ويقول: أنا سأكون على شريعة موسى عليه السلام، أو على شريعة عيسى عليه السلام بالإسلام الحق الذي جاء به عيسى وموسى عليهما السلام. مع أن هذا لا يمكن تصوره؛ لأنه إذا اتبع شريعة موسى وعيسى عليهما السلام الاتباع الصحيح لزمه أن يتبع محمدًا صلى الله عليه وسلم، فالله عز وجل أخذ الميثاق على الأنبياء والمرسلين أن يتبعوا محمدًا صلى الله عليه وسلم إذا بُعث وأن ينصروه، فمن كان على شريعة الأنبياء الصادقة الصحيحة لزمه أن يتبع محمدًا صلى الله عليه وسلم، ولذا فبعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله لا يقبل إلا الإسلام الخاص.

المعنى الثاني: معنى خاص، وهو الإسلام الخاص، وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)[10]، وخص اليهود والنصارى؛ لأنه أصحاب كتاب، ولم يذكر ما عداهم من المجوس والوثنية؛ لأن هؤلاء لا حكم لهم ولا حق يتعلقون به، فمن باب أولى ألا يقبل منهم شيء، لأن أعظم شبهة يتعلق بها المخالفون كيف تكفرون اليهود والنصارى وهم أتباع أنبياء؟ ولذلك نسمع الآن من يسميهم بأهل الأديان السماوية، ولا شك أن دين موسى ودين عيسى عليهما السلام سُمي سماوي في وقت بعثته وفي وقت رسالته وفي وقت اتباع هديه وطريقته، وأما الآن فلا يجوز أن نسمي دين اليهود بالسماوي؛ لأنه

---

[10] رواه مسلم.

دين محرف باطل، ولا يجوز لمسلم أن يقول: هذا دين سماوي. فهو دين مخالف لكتاب الله ومخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فيجب على الخلق كافة أن يدخلوا في الإسلام، كما قال سبحانه وتعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} [البقرة: 208]، فأمر الله عز وجل أن يدخلوا في السلم كافة وأن يأخذوا بالإسلام جميعًا، وخص المؤمنين هنا؛ لتشريفهم وتكريمهم، فغيرهم من باب أولى أن يدخل في هذا الخطاب، فالخطاب لجميع الخلق، كما قال تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: 158]، فالنبي صلى الله عليه وسلم مبعوث للثقلين الإنس والجن، فيجب على كل من بلغته دعوة محمد صلى الله عليه وسلم أن يسلم وأن يتبعه، وليس هناك طريق يوصل إلى الله إلا طريق محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال ابن القيم: كن واحدًا لواحد في واحد أعني: طريق الحق والإيمان. وهذا الطريق هو الصراط المستقيم الذي من حاد عنه فهو إما مغضوب عليه، وإما ضال، ولذا قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85]، والإسلام هنا هو الإسلام الخاص الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وقلنا: الإسلام الخاص؛ لأن الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي دعا للإسلام، فكل من لم يتبع دين محمد صلى الله عليه وسلم فإنه حصب جهنم، سواء كان من اليهود أم من النصارى، وإنما يطلق الإسلام العام على من سبق بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، أو من لم تبلغه دعوة محمد صلى الله عليه وسلم أبدًا، مع أن القول بأن هناك من لم تبلغ الدعوة أمر مستحيل وبعيد، لكن لو وُجد فإنه يدخل في مسمى الإسلام العام.

قوله: وقول الله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85]: أي لن يقبل منه يوم القيامة عملًا، ولن يقبل منه جزاء ولا عدلًا حتى يأتي بالإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله: وقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: 19]: والإسلام هنا إما العام وإما الخاص، والمراد بالإسلام هنا هو دين محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الدين الذي يقبله الله عز وجل، وهو الذي يجازي به، ويعطي عليه، ومن ترك هذا الإسلام ولم يأخذ به فإن مآله إلى جهنم وبئس المصير.

قوله: وقوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: 153]: أي أن السُبل كثيرة، وأن السبيل الذي هو الصراط المستقيم هو صراط محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك يُفسر الصراط بأنه

الإسلام، ويفسر بأنه القرآن، ويفسر بأنه محمد صلى الله عليه وسلم، وكلها صحيحة، لكن الإسلام هو أشمله؛ لأن الإسلام هو الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، والإسلام هو الذي جاء به القرآن، فكل من لم يأخذ بسبيل الإسلام ويسلك الصراط المستقيم فإنه من أهل النار، ويكون سبيله وطريقه موصلًا به إلى نار جهنم.

قوله: قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات: والبدع إما أن تكون بدعًا مكفرة، والشبهات هي الشبهات التي تخالف دين الله عز وجل وتخالف الإسلام، وهناك بدع غير مكفرة وإنما تفسق وتضلل، ولا شك أن الإسلام ينقص بنقص الأخذ به، فإن من أفضل أهل الإسلام هو الذي يطعم الطعام ويفشي السلام ويصلي بالليل والناس نيام، وكلما كان العبد أكثر تحقيقًا للإيمان كلما كان أكمل في إسلامه وفي إيمانه، وكما أخل بشيء من إسلامه أو بشيء من إيمانه كان ذلك مدعاة لنقص الإيمان والإسلام، إلا إذا قلنا: إن الإسلام لا يتبعض، وأن ذهاب بعضه ذهاب كله. ولكن الصحيح أن أركان الإسلام قد يترك بعضها ويبقى في الإسلام، فإنه قد لا يزكي مع إقراره بوجوبها فهو مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب ويسمى مسلمًا إلا أن إسلامه ناقص، وكذلك الإيمان من باب أولى.

قوله: وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، أخرجاه: أخرجه البخاري ومسلم من طريق القاسم عن عائشة –رضي الله عنها-، وفيه أن من عمل عملًا ليس عليه هدي محمد صلى الله عليه وسلم فإن عمله مردود، والعامل الذي يعمل لا يخرج من حالات:

الأولى: أن يعمل هذا العمل وهو جاهل بأنه خلاف السنة، فهذا يؤجر من جهة مقصده لا من جهة عمله، بمعنى لو أن إنسانًا صلى بعد الفجر أربع ركعات نافلة جاهلًا، فعمله هذا مردود لكنه يؤجر من جهة نيته وقصده.

الثانية: أن يكون عالمًا ويحدث في دين الله، فإنه يأثم بهذا الفعل؛ لأنه خالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فعمله مردود وهو مع رده آثمًا؛ لمخالفته لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، فإن كل بدعة ضلالة، فالذنوب منها الكبائر، والبدع أيضًا من الذنوب، فالمبتدع في بدعته يكون مذنبًا، فإذا ابتدع الإنسان بدعة لا يظن أنه بمجرد بدعته أنه فقط يسلم من العقوبة والذنب ولا يُقبل عمله، نعم لا يقبل عمله وهو أيضًا بهذا الإحداث آثم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)[11].

ويشترط في قبول العمل الصالح ثلاثة شروط:

الشرط الأول: الإيمان. وهو الإسلام، أي يكون مسلمًا مؤمنًا

11

الشرط الثاني: الإخلاص. أن يكون عمله لله عز وجل.

الشرط الثالث: اتباع هدي محمد صلى الله عليه وسلم. أي يكون وفق هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: وفي لفظ: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد): فمن أحدث أمرًا في هذا الدين وهو ليس منه فهو مردود عليه في الدنيا وفي الآخرة، وكذلك من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد، والناس في باب الإخلاص والمتابعة على أربعة أحوال، أكملهم من حقق الإخلاص والمتابعة، وشرهم من لم يحقق الإخلاص والمتابعة، ودونه من حقق الإخلاص دون المتابعة، ودونه من حقق المتابعة دون الإخلاص، فالذي حقق الإخلاص دون المتابعة فهذا قد يؤجر من جهة قصده ولا يؤجر من جهة عمله وهذا إذا كان جاهلًا، وأما حقق المتابعة دون الإخلاص كالمرائي والمنافق فهؤلاء لا يُقبل منهم عمل، ويأثمون أيضًا من جهة الرياء والنفاق.

وخلاصة قول الشيخ: أن هذا الدين –دين الإسلام- هو الدين الذي يقبله الله عز وجل يوم القيامة، وأن الدخول فيه ليس على التخيير وإنما هو على الحتمية والوجوب، فيجب على كل مكلف أن يدخل في دين الإسلام، وأخذ الجزية من الكفار ليس من باب تخييرهم أنه يجوز له ترك الإسلام ولكن بمعنى أنه يؤخذ الجزية منه في الدنيا من باب عصمة دمه وماله فقط، وإلا فهو في الآخرة في نار جهنم؛ لأن من الناس من يظن أن له دينه ولنا ديننا وإذا أخذنا منه الجزية فإن دينه صحيح، وأنه يجازى عليه يوم القيامة، ولكن نقول: إنما أخذت الجزية منه من باب حفظ دمه وماله في الدنيا، وأما في الآخرة فدفعه للجزية لا يغني عنه شيئًا ويكون خالدًا مخلدًا في نار جهنم.

الشريط: 4.

قوله: وللبخاري عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)، قيل: ومن يأبى؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى): هذا رواه البخاري دون مسلم، ورواه أحمد أيضًا من طريق فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة، وذكر هذا الحديث في باب وجوب الإسلام أن من أبى أن يكون من المسلمين فلن يدخل الجنة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (كل أمتي يدخلون الجنة)، والمراد بالأمة هنا أمة الإجابة، الذين استجابوا، وقد يقال بأنها أمة الدعوة، فكل أمة الدعوة تدخل الجنة إذا أطاعت، وإذا لم تطع فإنها تدخل النار، فقوله صلى الله عليه وسلم: (كل أمتي يدخلون الجنة): أي الأمة التي أُرسلت لأجلها، وأمة الرسالة تشمل جميع الثقلين، فجميع الثقلين

يدخلون الجنة إلا من أبى، والذي أبى هو الذي أبى أن يدخل في الإسلام، فأفاد هذا الحديث وجوب الدخول في الإسلام، ووجوب اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فقوله: (من أطاعني): أي باتباع الإسلام والإيمان بي والأخذ بشريعة الله عز وجل هو الذي يدخل الجنة، ومن أبى وامتنع وهو امتناع كلي أو امتناع جزئي، فالامتناع الكلي يخلد صاحبه في النار أبد الآباد، ويكون كفره أشنع وأفظع من كفر الذي أبى جزئيًا، والإباء الجزئي هو أن يأبى أن ينقاد لشيء من شرع الله عز وجل، فيأبى أن ينقاد لصلاة، أو صيام، أو زكاة، ويمتنع من ذلك، والإباء في هذه الصور كلها كفر، فالذي يمتنع عن أداء الصلاة كافر، والذي يمتنع عن أداء الصيام كافر، والذي يمتنع عن أداء الزكاة كافر؛ لأن امتناعه وإباءه هنا من باب عدم القبول لهذه الشريعة وعدم الانقياد لها، فيكون المعنى (كل أمتي) أي كل الأمة التي أُرسلت فيها تدخل الجنة إذا أطاعت، والطاعة التي تؤمر بها أن تدخل في دين الله عز وجل الإسلام.

وإذا قلنا: إن الأمة هنا هي الأمة الخاصة، فالمراد بقوله صلى الله عليه وسلم: (من أطاعني) بأن يسلم واتبع سنتي وصار على طريقتي سيدخل الجنة، ومن أبى فإنه سيدخل النار، لكن الظاهر من هذا النص –والله أعلم- أن الأمة هنا المراد بها الأمة التي أُرسل فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأُمرت بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، فكل من أطاع النبي صلى الله عليه وسلم من يهود أو نصارى أو وثنين وأسلم دخل الجنة، وكل من امتنع من يهود أو نصارى أو وثنيين أو عرب أو غيرهم فإنه يدخل النار، وقد يدخل في هذا أيضًا من امتنع عن شيء من شرع الله عز وجل؛ لأن هناك من يمتنع امتناعًا كليًا، ومن يمتنع امتناعًا جزئيًا، فمن المنتسبين للإسلام من يمتنع عن إقامة شيء من شرع الله عز وجل، كالامتناع عن تحكيم شريعة الله، فهذا كفر وناقض من نواقض الإسلام، ويكون ممن أبى أن يدخل الجنة، والذي يمتنع عن أداء الصيام والصلاة يكون أيضًا ممن امتنع وأبى أن يدخل الجنة فهو من أهل النار.

قوله: وفي الصحيح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه)، رواه البخاري، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: قوله: (سنة الجاهلية) يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي في شخص دون شخص، كتابية، أو وثنية، أو غيرهما من كل مخالف لما جاء به المرسلون: أخرجه البخاري من طريق نافع بن جبير، عن ابن عباس، وهو من مفردات البخاري، وهذا فيه إثبات صفة البغض لله تعالى، ويدخل في البغض صفة

المقت لله، فمعنى يمقتك أي يبغضك، فالبغض صفة من صفات الله عز وجل، والملحد في الحرم هو الذي يفعل أمرًا منكرًا في حرم الله عز وجل، فالإلحاد هو الميل عن الحق إلى الباطل، وأعظم الإلحاد الكفر والشرك، ومن الإلحاد الفسق والفجور، فالذي يلحد في الحرم بأن يُشهر فسقًا أو يشهر فجورًا أو يشهر منكرًا فهذا من أبغض الناس إلى الله عز وجل، ولذا فإن المعصية في الحرم ليست كالمعصية في غيره، فالذي يقيم منكرًا على أرض بعيدة عن الحرم ليس كمن يقيم منكرًا في حرم الله عز وجل؛ لأن الحرم له حرمته وتعظيمه وإجلاله، والذي يتجرأ على حرم الله لا شك أن يتجرأ عليه في كل مكان، والذي لا يعرف حرمة الحرم لم يعرف حرمة غيره، فالملحد في الحرم الذي يفعل منكرًا من المنكرات إما بإشاعته أو بإشهاره أو بفعله فهذا من أبغض الناس إلى الله عز وجل، قال سبحانه: {وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الحج: 25]، حتى قال بعض أهل التفسير: من هم فيه بإلحاد بأمر فظيع من المعاصي فإنه متوعد بهذا الوعيد الشديد.

وقوله: (ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية). هذا الشاهد من الحديث وهو من ابتغى في الإسلام سنة جاهلية، وكما قال شيخ الإسلام هنا: قوله: (سنة الجاهلية) يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة. فالجاهلية المطلقة هي ما كان قبل الإسلام من عادات الجاهلية سواء من اليهود أو من النصارى أو الوثنيين، والجاهلية المقيدة ما كان في الإسلام، مثل التفاخر بالأحساب والأنساب، والنياحة، وتعيير الإنسان بنسبه أو بلونه، فهذه كلها من سنن الجاهلية، فمن أحيا سنة جاهلية في الإسلام قد اندثرت فهو من أبغض الناس إلى الله عز وجل، فمثلًا كمن يحيي سنن الجاهلية الفاجرة من باب التراث وإحياء التراث فيحيي مثلًا مزارًا كان فيه قبرًا يُعبد من دون الله، فإحياء هذا من إحياء سنة جاهلية، والذي يحيى سنة الجاهلية فهو من أبغض خلق الله عز وجل إلى الله، فالذي يسن سنة جاهلية في الإسلام ويأمر الناس بها، سواء في الأخلاق أو في الآداب أو في العقائد أو في الأفعال وهي من سنن الجاهلية المخالفة لشرع الله عز وجل فإنه من أبغض خلق الله، ففي الآداب كالعادات الجاهلية الباطلة من أمور منكرة ومحرمة أحياها وأعاد إشاعتها بين الناس، وفي الأخلاق أيضًا كأن يُظهر التعري والفجور فهذا من أبغض خلق الله عز وجل إليه، وفي العادات والتقاليد أنكر المنكرات والفواحش فهو من أبغض خلق الله عز وجل إليه، فأهل الجاهلية مثلًا كانوا لا يتحجبون وكانت المرأة تتبرج، فأتى من أحيا هذه الجاهلية في أمة الإسلام وأحيا التبرج والسفور فإنه يدخل في هذا الوعيد الشديد ويكون من أبغض خلق الله إلى الله.

وقوله: أي في شخص دون شخص، كتابية، أو وثنية، أو غيرهما من كل مخالف لما جاء به المرسلون. أي قد تكون الجاهلية في هذا الشخص وليست في غيره، فإذا أحيا سنة جاهلية ولو كانت في أفراد فأحياها فإنه يدخل في هذا الوعيد الشديد، سواء كانت السنة الجاهلية وثنية من عادات الوثنيين، أو من عادات النصارى، أو من عادات اليهود، فيدخل في هذا أعياد النصارى، فهي من سنن الجاهلية، فمن أحيا عيدًا جاهليًا كعيد النصارى وأشاعه وأقامه وأظهره ومكن لأهله فعله بين المسلمين كان أيضًا من أبغض خلق الله إلى الله عز وجل.

فإذا قلنا: سنة جاهلية، فهي باطلة، والسنن منها ما هو موافق للشريعة وجاءت به سواء على وجه الخصوص أو العموم، فهذا لا يسمى جاهلية، كالكرم والشجاعة، فهذه من المكارم التي حث الإسلام عليها، لكن وأد البنات من السنن الجاهلية التي حاربها الإسلام، وكذلك ما يسمى التبني فهي عادة حاربها الإسلام، فمن أحيا هذه السنة دخل في الوعيد، وأما من أحيا سننًا دل الإسلام عليها جملة أو تفصيلًا فلا يدخل في الوعيد بل يدخل في حديث: (من أحيا سنة حسنة).

قوله: وفي الصحيح عن حذيفة –رضي الله عنه- قال: يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا: هذا في البخاري دون مسلم، وقد رواه من طريق الأعمش عن إبراهيم عن همام عن حذيفة، وفيه فضل القراء وهم الفقهاء العاملون بكتاب الله عز وجل، ومعنى كلام حذيفة –رضي الله عنه- أي يا معشر القراء قد أعطاكم الله عز وجل فضلًا عظيمًا وهو أخذكم لكتاب الله عز وجل، وحفظكم لكتاب الله عز وجل، وفهمكم وعلمكم لكتاب الله عز وجل، فقد سبقتم سبقًا بعيدًا فلا يستطيع أحد أن يدرك فضلكم أو أن يصل إلى منازلكم إذا استقمتم، فاستقيموا، أي على السنة وعلى الهدي، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا فتركتم سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأخذتم بسنن الجاهلية وبطرق أهل الضلال والبدع فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا، والشاهد أن الواجب على المسلم أن يستقيم، وألا يأخذ يمينًا ولا شمالًا، وأن من أخذ يمينًا وشمالًا وحاد عن الصراط المستقيم فقد ضل ضلالًا بعيدًا.

وأما إذا كان هؤلاء القراء يتلون الحروف ويقيمون مخارجها ولا يقيمون حدودها فهؤلاء حفظة وليسوا قراء، وإنما القراء هم الفقهاء، كما قال ابن مسعود –رضي الله عنه-، فيدل هذا الأثر على فضل العلم وفضل أهل العلم، وأن العلم يكمل فضله إذا استقام العالم على طاعة الله عز وجل، وإذا قبحت المعصية من الجاهل فهي من العالم أقبح وأقبح؛ لأن العالم يُدرك ما لا يدركه غيره.

ولذا يجب على أهل العلم وأهل القرآن خاصة أن يستقيموا أكثر من غيرهم؛ لأنهم رؤوس الناس، ولأنهم محل أبصار الناس، فينظرون إليهم أن هؤلاء أسوة وقدوة، ولذا ضلال العالم ضلال لخلق كثير، وفساد العالم فساد لخلق كثير، ثلاثة إذا فسدوا كان بهم فساد الدين والدنيا: العلماء، والأمراء، والعباد. وهذا هو سبب فساد الدين، فالملوك والأحبار والرهبان إذا فسدوا فسد الناس جميعًا، وإذا صلحوا صلح الناس جميعًا، والعلماء يراهم الناس أنهم أسوة وقدوة، ولذا تسمع من يقول: العالم فلان يفعل كذا ولو كان حرامًا ما فعله، والعابد الفلاني يفعل كذا ولو كان حرامًا ما فعله. هذا دليل على أن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، ولذا قال ابن مسعود –رضي الله عنه-: من كان متأسيًا فليتأسى بمن مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. وقال معاذ: إياكم وزلة الحكيم. والحكيم هو العالم، فإذا زل العالم فلا يجوز للمسلم أن يتبع زلته، فإنه يوشك أن يعاود ويرجع إلى الحق الذي يعرفه فيغفر له ما سبق من خطيئته وذنبه.

الشريط: 6.

قوله: وعن محمد بن وضاح: وله كتاب اسمه (البدع والنهي عنها).

قوله: أنه كان يدخل المسجد فيقف على الحلق فيقول: فذكره: الضمير يعود هنا على حذيفة –رضي الله عنه-، فكان –رضي الله عنه- يدخل المسجد فيقف على الحلق وهي حلقات العلم فيقول: يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا. وهذا الأثر في البخاري، وزاد ابن وضاح هنا أن حذيفة كان يدخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم ينظر إلى طلاب العلم في الحلقات ويقول لهم قوله هذا.

قوله: وقال: أي ابن وضاح.

قوله: أنبأنا ابن عيينة، عن مجالد عن الشعبي، عن مسروق، قال عبد الله -يعني ابن مسعود- ليس عام إلا والذي بعده أشر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم: هذه الأثر الذي ذكره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أراد بهذا الثبات على الدين، وأن المسلم يحرص على التمسك بشرع محمد صلى الله عليه وسلم، ويسلك طريقة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الشرور مقبلة والفتن متتابعة، وما من زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تقوم القيامة، فإذا علم المسلم أن الزمان يزداد سوءًا، وأن الحال يزداد بُعدًا عن شرع الله عز وجل عظم خوفه وعظم حذره أن تزل قدمه أو أن يضل قلبه، فيتمسك بهدي النبي صلى الله

عليه وسلم ويتمسك بما في الكتاب والسنة، فهذا الأثر وإن كان في إسناده مجالد بن سعيد الهمداني وفيه ضعف إلا أن معناه صحيح.

وقد جاء عند البخاري عن أنس –رضي الله عنه- أنه قال: لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم. وهذا الخبر في شرية الزمان كلما تباعد عن عهد النبي صلى الله عليه وسلم هو بالنسبة لقربه من النبي صلى الله عليه وسلم، فالزمان كلما بعد العهد به عن النبي صلى الله عليه وسلم كان أشر، وكلما كان أقرب كان أخير، ولا يلزم من هذا الإطلاق، بل قد يكون بعض الأزمنة المتأخرة أفضل من الأزمنة المتقدمة، وفي حديث حذيفة أنه قال: فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم) قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم، وفيه دخن)[12]، قال ثم ماذا؟ قال: ثم تكون خلافة على منهاج النبوة[13]. ففي حديث حذيفة أنه ذكر الخلافة ثم ذكر أن بعد هذا الخير شر، ثم ذكر بعد الشر خير ولكن فيه دخن أي نقص، ثم ذكر بعد هذا الخير الذي فيه دخن تأتي خلافة على منهاج النبوة، فهذا الحديث قد يظهر أنه معارض لحديث أنس: ما من زمان إلا والذي بعده شر منه. والجواب أن الشر الذي في حديث أنس هو البعد عن الزمان، وهذا هو الغالب، فكلما بعد الزمن عن عهد النبي صلى الله عليه وسلم كلما بعد الناس عن السنة وعن التمسك بالشريعة، لكن لا يعني هذا الإطلاق وأن هذا هو الحاصل دائمًا، لكن قد يخرج عن هذا العموم أن يأتي زمان الذي بعده خير من الذي قبله، كما قال صلى الله عليه وسلم: (ثم تكون خلافة على منهاج النبوة) في زمن المهدي، بعدما سبقه من الشر الشيء العظيم، فالمراد بقول ابن مسعود البعد عن زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن كل ما بعد العهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كلما كان الشر فيه أكبر والخير فيه أقل، فزمان عيسى عليه السلام أعظم من زمن المهدي، وزمن المهدي أعظم من زمن الذي قبله، ثم يأتي بعد ذلك الشر.

وقوله: ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم. وهذا هو الشاهد وهو الإعراض عن السنة بالآراء والمقاييس، وذلك قالوا: إن أول من قاس هو إبليس لعنه الله، بقوله: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: 12]، ومن ذلك ما يسمى بالاستحسان والمصلحة والمصالح بهذه العبارات تلم الإسلام وهدم، ولأجل المصالح الشخصية والعامة غُيرت شرائع الإسلام، ولذلك تجد الآن من يُفتي

12

13 المفرغ: يُنظر في ثم تكون خلافة على منهاج النبوة هل هو تكملة حديث حذيفة أم لا؟.

بغير ما أنزل الله ويحكم فيما حرم الله بالإباحة والحل لأجل مصلحة يزعم أنه يراها، وهذا لا شك أنه من باب قياس الأمور والإعراض عن النصوص والأصول والأخذ بالآراء وزخارف القول، وهذا مناسب أن يُذكر في باب فضل الإسلام؛ لأن الإسلام لا يقوم على الحقيقة إلا إذا تمسك العبد به واستسلم لله سبحانه وتعالى وأقبل بقلبه وقالبه على الله سبحانه وتعالى، فالإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والذي يقيس الأمور ويخرج بهذا القياس عن شريعة الله ليس مسلمًا مستسلمًا لله عز وجل على الوجه الصحيح، فأثر ابن مسعود مناسب لفضل الإسلام؛ لأن القياس الذي يخالف النصوص والأصول فهو قياس ملغي غير معتبر؛ لأن القياس قياسان، قياس صحيح، وقياس فاسد ملغي، وأما القياس الصحيح فهو إلحاق النظائر بعضها ببعض، وإلحاق الفرع بالأصل لعلة في حكم يجمع بينهما، وأما القياس الذي يخالف النص أو يرد النص أو يعارض النص فهذا قياس ملغي غير معتبر.

*****المتن*****

باب تفسير الإسلام

وقول الله تعالى: {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ} [آل عمران: 20] الآية.

وفي الصحيح عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا).

وفيه عن أبي هريرة –رضي الله عنه- مرفوعًا: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام فقال: (أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة)، رواه أحمد.

وعن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإسلام؟ قال: (أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك)، قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: (الإيمان)، قال: وما الإيمان؟ قال (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت).

*****الشرح*****

قوله: باب تفسير الإسلام: أي ما هو تفسير هذا الإسلام؟ فالإسلام أصله من الاستسلام، وأصل الإسلام هو الاستسلام لله عز وجل بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراء من الشرك وأهله.

في اللغة: يقال: أسلم يُسلم وأسلم يعني دخل في السلم أو دخل في الإسلام، كما يقال: دخل في السلم، والمسلم هو من أسلم؛ لأنه رغب في السلامة.

وفي الاصطلاح: الإسلام له إطلاق شرعي، وله إطلاق اصطلاحي، فأما الإسلام الشرعي فهو كما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما الإسلام؟ قال: (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا)، وأما التعريف الاصطلاحي فهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وأعظم الإسلام هو تحقيق توحيد الله عز وجل والانقياد لشرعه والبراءة من الشرك وأهله.

قوله: وقول الله تعالى: {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ} [آل عمران: 20] الآية: فالإسلام هو إسلام الوجه لله سبحانه وتعالى، فإن حاجوك في هذا الإسلام الذي لا يرضى الله عز وجل دينًا غيره، وحاجوك في قبول ما هم عليه من الدين المحرف –اليهود والنصارى- واعتقاد أن عيسى عليه السلام ابن الله، فقل: أسلمت وجهي لله ومن اتبعن. أي دخلت في الإسلام. وعبر هنا بالوجه؛ لأن الوجه هو أشرف الأعضاء، والعرب تطلق الوجه وتريد به الذات، من إطلاق الجزء ويراد به الكل، ومعنى أسلمت وجهي أي أسلمت وجهي الذي هو أشرف أعضائي ودخل في ذلك تباعًا جميع أجزاء جسدي، فأنا بوجهي وقلبي وقالبي كله لله عز وجل، منقادًا في طاعته، ومنقادًا لأوامره، وقال سبحانه: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} [لقمان: 22]، بمعنى من أسلم الإسلام التام والانقياد التام فهذا هو الذي تمسك بالتوحيد وانقاد له، وأما من يُسلم ببعض كتاب فيؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض فهذا لم يحقق الإسلام الذي أراده الله عز وجل، ومن اتبعن أي من سار على طريقتي ممن آمن بي رسولًا، وشهد أن لا إله إلا الله، فهم أيضًا يُسلمون لله عز وجل الإسلام التام.

قوله: وفي الصحيح عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا): هذا

الإسلام رواه مسلم في صحيحه من حديث عمر ابن الخطاب –رضي الله عنه- ويسمى بحديث جبريل المشهور، وفيه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فلما سأله عن الإسلام قال صلى الله عليه وسلم: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا)، وأخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه-، فهنا النبي صلى الله عليه وسلم عندما فسر الإسلام فسره بالأركان الخمسة، وعندما فسر الإيمان فسره بالأركان الستة، والإسلام لا يصح إلا بصلاح الباطن الذي هو الإقرار والتصديق وبعمل الظاهر، فمن حقق التصديق والإقرار والانقياد ولم يحقق العمل الباطن فليس بمسلم، ومن حقق عمل الظاهر بأن صلى وصام وزكى وأدى شرائع الإسلام الخمسة لكنه لم يقر ولم يصدق ولم ينقد فليس بمسلم، فلا بد للمسلم أن يحقق عمل الظاهر وأن يحقق عقيدة الباطن، فالباطن يتعلق بالإقرار والتصديق والانقياد، والظاهر يتعلق بالأعمال.

والأعمال التي يثبت بها الإسلام هي ما يكفر العبد بتركه، كالصلاة، فيكفر بترك العمل من جهتين: إما أن يترك الصلاة، وإما أن يترك العمل كله الذي يُعرف به أنه مسلم، وأما من جهة الباطن فكل ما ينافي التصديق والإقرار والانقياد فإنه كفر، فالتكذيب كفر، والجحود كفر، وكل ما هو من لوازم التكذيب والجحود فإنه ناقض من نواقض الإسلام، وعلى هذا فهل الإسلام والإيمان شيء واحد؟ الإيمان والإسلام يتداخلان ويتفرقان، فلا بد للمسلم أن يكون معه أصل الإيمان، ولا بد للمؤمن أن يكون معه أصل الإسلام، فلا يمكن أن يكون مؤمنًا إلا بإسلام، ولا يمكن أن يكون مسلمًا إلا بإيمان، والإيمان دائرته أوسع من الإسلام، فكل من دخل في الإيمان دخل في الإسلام تباعًا، وكل من دخل في الإسلام لزمه أن يدخل في أصل الإيمان، لكن لا يلزم أن يكون محققًا لكمال الإيمان الواجب، فالمسلم يلزمه أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فهذه أركان الإيمان لا بد أن يحققها، وأما بقايا أمور الإيمان التي هي مكملات الإيمان الواجب فقد يأتي بها وقد لا يأتي بها، فإن أتى بها كان إيمانه إيمانًا كاملًا من جهة الوجوب، وإن لم يأت بها كان إيمانه ناقصًا بنقصه بإتيان ما أُمر به.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله).

فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ينبني عليها مسائل كثيرة، فالشهادة لا تكون شهادة إلا بعلم وإخبار والتزام، فلا بد للشاهد أن يكون عالمًا، ولا بد للشاهد أن

يكون متكلمًا، ولا بد للشاهد أن يكون مخبرًا، ولا بد للشاهد أن يكون ملتزمًا، وهذه تسمى شروط الشهادة: العلم والقول والإخبار والالتزام. فمن جهل ما يشهد به لم تنفعه شهادته، ومن علمها ولم ينطق بها لم تنفع تلك الشهادة، ومن لم يخبر بشهادته لم تنفعه الشهادة، ومن لم يلتزم بما دلت عليه الشهادة لم تنفعه أيضًا هذه الشهادة.

والإله اسم جنس يطلق على كل من عُبد، سواء بحق أو بغير حق، والإله هو المألوه الذي يُعبد، والآلهة التي تُعبد كثيرة، ولذا في قوله: لا إله إلا الله. هو نفي وإثبات، فقوله: لا إله. نفي الآلهة الباطلة، وقوله: إلا الله. إثبات الألوهية الحقة لله عز وجل، أي ليس هناك إله يُعبد بحق إلا الله سبحانه وتعالى، وليس النفي هنا نفي وجود؛ لأن الآلهة موجودة، وإنما النفي هنا نفي حقيقة، أي حقيقة الآلهة التي تُعبد من دون الله هي حقيقة باطلة، ولذا قال أهل العلم: إن الخبر المحذوف هنا تقديره: بحق. لأن هناك من يرى أن الخبر المقدر في هذا الباب هو قوله: لا إله كائن، أو لا إله موجود. وهذا ليس بصحيح، فالآلهة الموجودة كثيرة جدًا، والنفي هنا ليس نفي وجود وإنما نفي حقيقة، فـ (لا إله) أي لا إله يُعبد حقًا (إلا الله) سبحانه وتعالى، فعلى هذا يقدر الخبر المحذوف خبر لا بأنه (بحق)، فلا إله بحق إلا الله سبحانه وتعالى.

والشهادة لها أركان، ولها شروط، ولها مقتضيات ولوازم، وهذه الشهادة هي مفتاح أبواب الجنة، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم عليه السلام في عقبه، وهي الكلمة التي تفتح بها أبواب الجنان، وهي الكلمة التي تمنع الخلود من النيران، وهي الكلمة التي يُسأل عنها العباد يوم القيامة {مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: 65]، {وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: 93]، فلا بد للإنسان أن يحققها بشروطها وأركانها حتى تنفعه هذه الكلمة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (وأن محمدًا رسول الله). أي تشهد أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كذب النبي صلى الله عليه وسلم أو شك في رسالته أو لم يؤمن بها فلا ينفعه قوله: لا إله إلا الله. حتى يشهد أن محمدًا رسول الله، رسولًا من الله عز وجل، وأن رسالته عامة لجميع الثقلين، وأنه خاتم الرسل، وأنه أفضل الرسل وشريعته ناسخة لجميع الشرائع السابقة، وأنه يلزم جميع من سمع به أن يؤمن به صلى الله عليه وسلم.

ثم ذكر إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا، وتسمى هذه المباني الخمسة، المباني العظام، وتسمى بشرائع الإسلام الظاهرة، ولذا فسر الإسلام بهذه الأركان الخمسة، وفُسر الإسلام بالعمل؛ لأنه يتعلق بالأعمال

الظاهرة، ولكن من الأعمال الباطنة ما يسمى إسلامًا، ولذا البخاري وغيره يذهبون إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد ومعناهما واحد لا فرق بينهما، ويقولون بأن ما جاء من قوله: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} [الحجرات: 14]، أن المنفي هنا الإسلام الذي هو على وجه الاستسلام، وأما جماهير أهل العلم فيرون أن الإسلام والإيمان متغايران، وهو كما ذكرنا متغايران متلازمان، فلا بد للمسلم أن يكون معه أصل الإيمان، ولا بد للمؤمن أن يكون معه أصل الإسلام.

الشريط: 6.

قوله: وفيه: أي في الصحيح.

قوله: عن أبي هريرة –رضي الله عنه- مرفوعًا: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده): هذا الحديث هو في الصحيحين، لكن ليس من حديث أبي هريرة، وإنما هو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ومن حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين، وجاء من حديث جابر في صحيح مسلم أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وقد مر أن المؤلف –رحمه الله- ذكر حديث ابن عمر في تعريف الإسلام، فقال صلى الله عليه وسلم: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا)، وذكر أيضًا قوله تعالى: {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ} [آل عمران: 20]، ففسر الإسلام بأن الاستسلام لله عز وجل بكمال الانقياد له سبحانه وتعالى، ثم فسر الإسلام بالتفسير الشرعي أن الإسلام هو ما قام على خمسة أركان: الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا، ثم ذكر بعد ذلك شيئًا من خصائص المسلم فذكر حديث عبد الله بن عمرو وأبي موسى في الصحيحين، وأما حديث أبي هريرة فهو عند الترمذي وإسناده صحيح: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، وهذا الحديث يدل على أن الإسلام يتفاوت، وأن المسلمين في إسلامهم يتفاوتون، فأكمل المسلمين إسلامًا هو من سلم المسلمون من لسانه ويده، فليس مفهوم الحديث أن الذي لا يسلم الناس من لسانه أنه ليس مسلمًا، وإنما يدل على أن أفضل المسلمين وخير المسلمين وأكمل المسلمين هو من سلم المسلمون من لسانه ويده.

والتنبيه على هذا دليل على أهمية هذا الأمر، وأن هذا الأمر هو أكثر ما ينتشر، فإن كثيرًا من المسلمين لا يسلم الناس من ألسنتهم ولا من أيديهم، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ولسانه بالغيبة والنميمة، والقذف والفحش، فهذا تواجهه صباح مساء، فتواجه من يغتاب، وتواجه من يسب، وتواجه من يشتم، وتواجه من

يقذف، فقل أن تجد من يسلم الناس من لسانه، وكذلك من يده واليد أقل كثرة من اللسان؛ لأن اللسان أمره أسهل والقدرة عليه أسهل أيضًا، فالناس يتساهلون في ألسنتهم أكثر من أيديهم، ومع ذلك يوجد أيضًا من يؤذي الناس بيديه، فهذا الذي يؤذي الناس بلسانه ويديه لم يحقق الإسلام الكامل، ولم يحقق الإسلام التام، ففي إسلامه نقص، وفي إسلامه ضعف؛ لأنه آذى المسلمين بلسانه ويده.

مسألة: هل يفهم من هذا الحديث أن غير المسلم يجوز آذيته باللسان واليد؟.

الجواب: دائمًا عند الأصوليين يذكرون أن مفهوم اللقب لا مفهوم له، وهنا لفظ: (من سلم المسلمون) هو مفهوم لقب فلا يؤخذ بمفهوم المخالفة، ومفهوم اللقب من أضعف المفاهيم فلا يؤخذ منها أن غير المسلم يناله الأذى باللسان واليد، وعلى كل حال نقول: إن غير المسلم ينقسم إلى أقسام: المحارب، والمعاهد، والذمي، أما المحارب فالنبي صلى الله عليه وسلم: (جاهدوا المشركين بأموالكم وبأيديكم وبألسنتكم)[14]، بل وبقلوبكم، فجهادهم القلبي بغضهم وكرههم، وباللسان بسبهم وشتمهم، وباليد بقتالهم، وهؤلاء هم الحربيون، وأما المعاهد والذمي فلا يجوز ظلمه بسبه دون وجه شرعي، وأما أن الذمي له غيبة: فليس له غيبة، ولكن لا يجوز أن تهزأ وأن تسخر بشيء من خلق الله سبحانه وتعالى، لكن لو قال: هو كافر، أو هو عدو لله عز وجل. فهو صادق لكن لا يجوز ظلمه بأخذ ماله أو بضربه أو بسبه دون مسوغ شرعي.

مسألة 2: الإسلام والإيمان يتداخلان ويفترقان، وهذه المسألة خلافية بين أهل العلم، وهي مسألة هل الإسلام هو الإيمان، وهل الإيمان هو الإسلام أم بينهما عموم وخصوص، أم هم متداخلان؟.

الجواب: الصحيح الذي عليه جماهير أهل العلم أن الإسلام والإيمان متغايران، وقد غاير النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه بينهما، وكذلك ربنا سبحانه وتعالى في كتابه قد غاير لفظ الإيمان والإسلام، فجاء في قوله تعالى: {فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الذاريات: 35، 36]، فذكر الإيمان وذكر الإسلام، فهذا يدل على أن الإسلام والإيمان متغايران، وحديث سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطًا وسعد جالس، فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلًا هو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال: (أو مسلمًا) فسكت قليلًا، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي، فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال: (أو مسلمًا)، ثم غلبني ما

14

أعلم منه فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: (يا سعد إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار)[15]، أي لا تزكه بقولك: مؤمنًا فإن الإيمان أعلى من درجة الإسلام. وقال سبحانه: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: 14]، فأثبت لهم الإسلام ونفى عنهم كمال الإيمان، وفي هذا دليل على أن الإسلام والإيمان متغايران متداخلان، فيلزم من الإسلام الإيمان ويلزم من الإيمان الإسلام، وذهب بعض أهل العلم كالبخاري ويُنسب لمالك ومحمد بن نصر: أن الإسلام والإيمان معناهما واحد، وأن الإسلام هو الإيمان والإيمان هو الإسلام، وكما قال البخاري أنه إذا جمع الإسلام والإيمان فيكون على الاستسلام وليس على الحقيقة، بمعنى إسلام المنافقين، فإنه يظهر إسلامه وهو كاذب، وإلا في غير المنافقين فالإيمان والإسلام شيء واحد، ولكن الصحيح هو قول جماهير أهل العلم وأن الإسلام والإيمان ليسا شيء واحد لكن بينهما تلازم، فإذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فإذا قلت: يا أيها الذين آمنوا، دخل المسلمون، وإذا قلت: يا أيها المسلمون، دخل المؤمنون أيضًا، وهذا هو الصحيح.

ومما يدل أيضًا على أن الإسلام والإيمان متغاير: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، فأفاد هذا الحديث أن أهل الإسلام يتفاوتون، فالذي لم يسلم المسلمون من لسانه ويده ليس بإسلامه كامل، ومن سلم الناس من لسانه ويده فإسلامه أكمل وأفضل، وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: (أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[16]، فجعل خير الإسلام إطعام الطعام وإقراء السلام، وعندما ساق البخاري هذه الأحاديث ساقها ليبين أن الإيمان والإسلام شيء واحد؛ لأن الإسلام هو الأصل، كما قال الزهري: الإسلام هو القول والإيمان هو العمل، والإسلام هو عمل الجوارح والإيمان يتعلق بعمل القلوب.

وذكر البخاري في صحيحه بابًا فقال: باب: أداء الخمس من الإيمان، باب من الإيمان صيام رمضان، باب من الإيمان الزكاة. وجعل الأعمال الظاهرة داخلة في مسمى الإيمان، وهذا لا إشكال فيه، فالأعمال الظاهرة داخلة في مسمى الإيمان وهي من الإيمان وهي أيضًا داخلة في مسمى الإسلام، فكل مؤمن يلزم أن يكون معه أصل الإسلام، وكل مسلم يلزم أن يكون معه أصل الإيمان، وحديث أبي هريرة هذا يدل على

15
16

هذا المعنى وأن الإسلام يتفاوت كما أن الإيمان أيضًا يتفاوت، وهناك جزء من الإسلام والإيمان من فارقه خرج من دائرة الإسلام والإيمان، أي أن هناك جزءًا لا بد أن يوجد في القلب من جهة الإسلام والإيمان، فالذي يكفر به تارك المباني الخمس بالإجماع هو يكفر بترك الشهادتين، ويكفر أيضًا بترك الصلاة على الصحيح من أقوال أهل العلم، ومن جهة الإيمان هو أن يكذب بأحد أركان الإيمان، فبمجرد أن يكذب يكون فارق الإيمان إلى الكفر، فلا بد في المسلم المؤمن أن يوجد عنده أصل الإيمان وأصل الإسلام ليثبت به إيمان وإسلامه، وما زاد على ذلك فيزيد به إسلامه ويزيد به إيمانه.

قوله: وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام فقال: (أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة)، رواه أحمد: أي أن الإسلام يتعلق بالقلب ويتعلق أيضًا بالجوارح، وأن إسلام القلب دون الجوارح لا يسمى إسلامًا، وأن إسلام الجوارح دون إسلام القلب لا يسمى إسلامًا، وهذا يقوي ما ذكرناه من أن الإيمان والإسلام متداخلان، كما قال ذلك غير واحد من أهل العلم، فالزهري يقول: إن الإسلام هو القول والإيمان هو العمل. فيدخل في مسمى الإيمان تسليم القلب، وما يتعلق بالقلب يتعلق بالقلب الاعتقاد، ويتعلق بالقلب قوله وعمله، فالقلب له قول وله عمل، فقوله الاعتقاد وعمله ما يقوم في القلب من إيمان وتصديق وإقرار وإخلاص ومحبة وتعظيم، فكل هذه تدخل في مسمى أعمال القلوب وهي من لوازم الإسلام وهو الإيمان بهذا المعنى، وأيضًا ما يتعلق بالجوارح هو قوله: أن تولي وجهك إلى الله. أي أن تفوض أمورك كلها لله سبحانه وتعالى، وأن تجعل أمرك كله لله سبحانه وتعالى، فلا تتعلق إلا بالله، ولا ترجو إلا الله، ولا تدعو إلا الله، ولا تخشع إلا لله، ولا تعبد إلا الله سبحانه وتعالى، أي أن تجعل توجهك في جميع عباداتك لله عز وجل، أن تجعل كل الأعمال التي تتقرب بها لله وحده ولا يكون لغير الله فيه حظ ولا نصيب، أعمال القلوب وأعمال الجوارح تكون كلها لله سبحانه وتعالى، ولا تشرك مع الله غيره.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة). فالصلاة والزكاة من أصول الإسلام ومبانيه العظام، وهي أيضًا من الإيمان، كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: أي الإيمان أفضل؟ قال: (الصلاة لوقتها)[17]، فجعل الصلاة لوقتها من أفضل الإيمان، وهي الركن الثاني من أركان

17

الإسلام، وفي الحديث: (وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا إلي خمس ما غنمتم)[18]، فجعلها من مسمى الإيمان، ففسر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بأن الإسلام هو ما يتعلق بعمل القلب، وما يتعلق بعمل الجوارح، وعند التفصيل نقول: ما يتعلق بالقلب يدخل في مسمى الإيمان، وما يتعلق بأعمال الجوارح يدخل في مسمى الإسلام، إلا أن الإسلام يشملهما جميعًا، واسم الإيمان أيضًا يشملهما جميعًا، ودليل ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان)[19]، فجعل ما بين ذلك كله داخل في مسمى الإيمان، فالصلاة والزكاة والصوم كل هذا داخل في مسمى الإيمان، وهي أيضًا داخلة في مسمى الإسلام، كما قال صلى الله عليه وسلم: (أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة).

قوله: وعن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإسلام؟ قال: (أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك)، قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: (الإيمان)، قال: وما الإيمان؟ قال (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت): أدخل الإيمان تحت مسمى الإسلام، وجعل الإيمان من أعمال المسلمين، ولا شك أن الإيمان يدخل في مسمى الإسلام، والإسلام يدخل في مسمى الإيمان، ولا شك أن أوسع مراتب الدين هي مرتبة الإحسان، ويأتي بعد ذلك مرتبة الإيمان ثم بعد ذلك مرتبة الإسلام، وأوسعها من جهة الدخول دائرة الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان، وإن عكست فصحيح، فمن دخل في الإحسان دخل في الإيمان والإسلام، ومن دخل في الإيمان دخل في الإسلام، ومن خرج من الإسلام خرج من جميع مراتب الدين.

وأراد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بهذه الأحاديث أن يفسر معنى الإسلام ويُبينه وأنه يدخل في مسمى الإسلام جميع شرائع الدين، وجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وأن المسلم مأمور أن يدخل في الإسلام كافة، وأن يؤمن بكل ما جاء من عند الله عز وجل، وألا يرد ولا يعترض على شيء من شرع الله عز وجل، وأن من أراد النجاة يوم القيامة فلا يبتغي غير الإسلام دينًا، فالإسلام به يؤاخذ الله عز وجل وبه

18

19

يعطي يوم القيامة ولا يعطي بغير الإسلام، إما الإسلام العام وإما الإسلام الخاص الذي هو بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

الشريط: 7.

المتن

باب قول الله تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: (تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الصدقة فتقول: يارب: أنا الصدقة. فيقول: إنك على خير، ثم يجيء الصيام فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الأعمال على ذلك فيقول: إنك على خير، ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب إنك السلام وأنا الإسلام فيقول: إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أعطي، قال الله تعالى في كتابه: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85])، رواه أحمد.

وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله□صلى الله عليه وسلم قال: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)، رواه أحمد.

الشرح

قوله: باب قول الله تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}: ساق شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله- هذه الآية على أن الإسلام هو الدين الذي يُقبل يوم القيامة، وهو الدين الذي يؤاخذ به الناس، {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران: 85]، والمراد من ابتغى بغير الإسلام دينًا جميع البشر وجميع الخلق، وابتغاء غير الإسلام دينًا إما ابتغاء دين غير دين الإسلام ابتغاء كليًا، كاليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية، فهؤلاء لا يقبل منهم عمل يوم القيامة.

وقد ذكرنا أن الإسلام له إطلاقان: إطلاق عام، وإطلاق خاص، أما الإطلاق العام فهو يشمل جميع الأديان السماوية التي كانت على الحق، وهذا الإطلاق إنما يطلق قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، ويسمى الإسلام العام، وأما بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فليس هناك إسلام عام وإنما هو إسلام خاص، فكل دين بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فهو دين باطل لا يقبل ولا يؤخذ به يوم القيامة، فمن ابتغى دينًا غير دين الإسلام بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وكان هذا الدين دينًا سماويًا كدين اليهودية ودين النصرانية، أي الدين الذي جاء به موسى عليه السلام والدين الذي جاء

به عيسى عليه السلام، وقال: سألزم دين موسى عليه السلام الصحيح ودين عيسى عليه السلام الصحيح، ولا يلزمني الإسلام. فلن يقبل منه يوم القيامة وسيكون من أهل النار، ولا يقبل منه عمل وعمله يكون هباء منثورًا، قال سبحانه: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: 23]، فلا يقبل الله عز وجل منهم صرفًا ولا عدلًا.

ويدخل أيضًا في قوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}، من لم يبتغ الإسلام الصحيح، من انتسب للإسلام وكان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويأخذ بأحكام الإسلام الظاهرة لكن ابتدع دينًا غير دين محمد صلى الله عليه وسلم، كحال الروافض، وكحال المتصوفة، الذين أحدثوا في دين الله عز وجل ما ليس منه، ونقضوا الإسلام بنواقضهم التي ارتكبوها، وكفروا بالله عز وجل، فهؤلاء وإن زعموا على الإسلام فلن يقبل منهم يوم القيامة، فلا يقبل منهم الإسلام؛ لأن ما تلبسوا به ليس إسلامًا، ولأن ما دانوا به ليس دينًا، وإنما هو خرافات وبدع ابتدعوها، فالرافضة ينسبون أنفسهم إلى الإسلام، وغلاة المتصوفة ينسبون أنفسهم إلى الإسلام، فإذا جاء هؤلاء يوم القيامة لم يقبل منهم عمل؛ لأنهم جاءوا بدين غير دين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فلا بد لمن جاء يوم القيامة إن كان من غير المنتسبين إلى الإسلام أن يلتزم بدين محمد صلى الله عليه وسلم فيُسلم، وإن كان من المنتسبين إلى الإسلام فلا بد أن يأتي بالإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فكل من ابتغى غير الإسلام دينًا، إما ابتغاء دينًا غير دين الإسلام كليًا، أو ابتغاء طريق غير طريق محمد صلى الله عليه وسلم طريقًا، فكل هؤلاء لا يُقبل منهم عمل يوم القيامة.

والمبتدع يكون رد عمله على حسب بدعته، فمن من يرد عمله كله؛ لأن بدعته بدعة مكفرة، ومنهم من يرد جزءًا من عمله لكون بدعته مفسقة، ولذا من عظيم فقه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في هذا الفصل أنه ذكر في قوله: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}، وحديث أبي هريرة أن الله عز وجل يقول في الحديث القدسي: (ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب إنك السلام وأنا الإسلام فيقول: إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أعطي)، عقب بعد ذلك بحديث عائشة –رضي الله عنها- الذي في الصحيحين: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)، وكأنه يريد أن من أتى بغير الإسلام من الكفار أو من المنتسبين أنه لا يُقبل منه عمل إلا إذا جاء بدين الإسلام الصحيح، فلا يأتي آت ويقول: الروافض يزعمون أنهم مسلمون، والصوفية يزعمون أنهم مسلمون، فهم ممن يقبل دينهم. نقول: ليس هذا الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فلا بد في المسلم أن يكون على الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فيكون معنى

قوله: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا} أي غير الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وإن كان منتسبًا إلى الإسلام، أو من كان على غير دين الإسلام {فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} يوم القيامة حتى يكون موافقًا للإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، أو ملتزمًا بالدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله: وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: تجيء الأعمال يوم القيامة: معنى مجيء الأعمال إما أن يجيء ثوابها، وإما تجيء بأعيانها، ولا إشكال في ذلك، فإما أن يأتي الثواب، وإما أن تُجعل الأعمال أعراضًا فتأتي، كما أن الثواب جاء في حديث النواس: (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران، كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما)[20]، فهذا المراد به الثواب؛ لأن القرآن كلام الله عز وجل، وكلام الله صفة من صفاته لا ينفك عن ربنا سبحانه وتعالى، فالذي يأتي هو ثواب سورتي البقرة وآل عمران، وأما في الصلاة والزكاة وما شابه ذلك فقد تأتي الصلاة حقيقة ويقال: هذه الصلاة، وتمثل على صورة، وكذلك الزكاة تمثل على صورة، وكذلك الصيام يمثل على صورة، وقد جاء في بعض الأحاديث أن الصيام يأتي على صورة رجل شاحب، فيراد بهذا ثواب القرآن، وقد يقال: الذي يأتي هو ثواب الصلاة وثواب الصيام وثواب الزكاة وثواب الحج.

قوله: فتجيء الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الصدقة فتقول: يارب: أنا الصدقة. فيقول: إنك على خير، ثم يجيء الصيام فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الأعمال على ذلك فيقول: إنك على خير، ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب إنك السلام وأنا الإسلام فيقول: إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أعطي، قال الله تعالى في كتابه: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85]): ثم يجيء الإسلام هذا دليل على نكارة هذا المتن؛ لأن الإسلام هو مجموع هذه الأعمال، فالإسلام سمي إسلامًا، لأن صاحبه يكون دائنًا بدين الإسلام الذي هو عبارة عن عقائد وأقوال وأعمال.

وقوله: بك اليوم آخذ. أي أعاقب من لم يقبل الإسلام، وقوله: وبك أعطي. أي أعطي الناس بإسلامهم، فيكون الجزاء ثوابًا وعقابًا بهذا الإسلام، فمن ترك الإسلام

20

عوقب، ومن أخذ بالإسلام جوزي، والمراد بالإسلام هنا الإسلام الصحيح الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا الحديث رواه أحمد من طريق عباد بن راشد -وهو متكلم عن فيه- عن الحسن عن أبي هريرة، والحديث إسناده ضعيف، ومتنه فيه نكارة، ولكن المعنى من جهة أن الإسلام به يأخذ ربنا أي يعاقب، وبه يعطي ويثيب فهذه حق، ودليل قوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85]، وأيضًا الحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئًا، وما قال فيه: حدثنا أبو هريرة. فكان الحسن يتجوز في قوله: حدثنا. بمعنى حدّث أهل بلده، وكان يقول: حدثنا ابن عباس. ويريد بذلك أنه حدّث أهل البصرة وخطبهم، وأما ما جاء عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال: حدثنا أبو هريرة. فعُد هذا من أخطاء مبارك بن فضالة وهو ضعيف الحديث، ولا شك أن الإسلام يكون به العطاء والعقاب يوم القيامة، فكل من جاء يوم القيامة ولم يأت بالإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فلن يُقبل منه إلا من جاء بالإسلام العام قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فاليهود والنصارى وأتباع موسى وعيسى وإبراهيم وكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء على الإسلام العام، وأما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فلا يقبل إلا الإسلام الخاص وهو الدين الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وذكرنا أن الأعمال إما أن تأتي حقيقة أو يأتي ثوابها، والأصل في الغيبيات أن تُقر على ظاهرها إلا أن تحتمل معنى باطلًا، مثل أن البقرة وآل عمران تأتيان على صورة غمامتين أو صواف من طير، أو أن الصيام يأتي على صورة رجل شاحب، فهذا لا يحمل على أنه يأتي القرآن بهذا الوصف؛ لأن كلام الله صفة له، وإنما الذي يأتي هو ثواب القرآن.

قوله: وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)، رواه أحمد: الصحيح أن الحديث في الصحيحين من حديث القاسم عن عائشة –رضي الله عنها-، وفي هذا الحديث دليل على أن من شروط قبول العمل المتابعة، وأن الذي يتعبد الله عز وجل بعبادة على غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم فإن عمله مردود إلا أن يكون هذا الرجل هذا جهده وهذا ما استطاع عليه من العبد، فالذي يعمل عملًا لا ينفك عن أربع حالات:

الأولى: أن يكون مخلصًا متبعًا، فهذا يقبل عمله باتفاق.

الثانية: أن يكون مخلصًا غير متابع، وهذا له حالتان:

الحالة الأولى: إن كان مخالفًا للسنة والحجة قد بلغته وبُين له حاله فهذا عمله مردود عليه ولا يقبل منه.

الحالة الثانية: أن يكون مخلصًا غير متابع لكنه يكون جاهلًا ومثله يعذر بجهله، فإنه يؤجر على إخلاصه.

الثالثة: أن يكون متابعًا غير مخلص، فهذا لا يُقبل منه؛ لأنه أخل بشرط الإخلاص؛ لأن العمل الصحيح لا يقبل إلا إذا كان لله عز وجل وعلى وفق هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

الرابعة: أن لا يكون مخلصًا ولا متبعًا، فهذا شرهم.

ولذلك بعض أهل العلم يرى أن شروط قبول العمل شرط واحد: وهو الاتباع. لأن الاتباع يلزم منه الإخلاص، ولا يلزم من الإخلاص الاتباع، فإذا اتبعت محمدًا صلى الله عليه وسلم كنت مخلصًا وكنت وفق السنة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان عمله كله لله عز وجل، فأنت إذا حققت شرط الاتباع حققت الإخلاص وحققت الاتباع، ولكن من باب التيسير والفهم نقول: إن العبادة قائمة على ثلاثة شروط:

الشرط الأول: الإيمان. لأنه لا بد لكل عمل من إسلام، فغير المسلم لا يقبل منه عملًا ولو كان مخلصًا، فمثلًا جاء كافر ونذر أن يصلى العصر وفق سنة النبي صلى الله عليه وسلم وقصد بذلك وجه الله عز وجل، فهذا لا يؤجر لخلو قلبه من الإسلام.

الشرط الثاني: الإخلاص.

الشرط الثالث: المتابعة.

الشريط: 8.

*****المتن*****

باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه

وقول الله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [النحل: 89] الآية.

روى النسائي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى في يد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- ورقة من التوراة فقال: (أمتهوكون يا ابن الخطاب، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًا واتبعتموه وتركتموني ضللتم)، وفي رواية: (لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي)، فقال عمر: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيًا.

*****الشرح*****

قوله: باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه: هذه وصية عظيمة من وصايا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله-، وهذه الوصية ليست وصية خاصة لم يُسبق بها، بل هي وصية الأولين والآخرين من أهل العلم، بل هي وصية النبي صلى الله عليه وسلم قبلهم جميعًا، فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر بالتمسك بالكتاب، والأخذ بالقرآن، وتتابع أهل العلم على الوصية بكتاب الله عز وجل، فإن كتاب الله سبحانه وتعالى هو الهدى وهو البيان، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن استرشد به هُدي، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: 9]، فما من خير إلا والقرآن يدل عليه، وما من شر إلا والقرآن ينهى عنه، حتى قال الشيخ الشنقيطي في (أضوائه): ما من شيء إلا وجدته في القرآن حتى علم الرياضيات. فسئل؟ فقرأ قوله تعالى: {انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ} [المرسلات: 30]، فقال: هذا دليل على أن المثلث لا ظل له. وهي مسألة رياضية يعرفها أهل الرياضيات.

فالقرآن يهدي للتي هي أقوم، ويهدي للتي هي أحسن، ويهدي للذي فيه الفلاح والنجاة، فمن استغنى عن القرآن وأعرض عنه وتركه فقد عظمت شقاوته وضل سعيه، ولذا قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: 124]، فالقرآن فيه الهدى، والقرآن فيه البيان، والقرآن فيه الشفاء، والقرآن فيه النجاة والسلامة والفوز، فيجب على المسلم أن يستغني بالقرآن عن غيره من الكتب، وليس معنى هذا ما يحتج به القرآنيون أن نكتفي بالقرآن ونترك السنة، بل الأخذ بالقرآن أخذ بالسنة، وترك السنة ترك للقرآن.

فالذي يترك السنة ويزعم أنه قرآني وأنه يأخذ بالقرآن، فقد كذب، فلو كان آخذًا بكتاب الله عز وجل لأخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله يقول في كتابه: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7]، فأمر الله عز وجل بأن يؤخذ بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، والله يقول: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: 158]، فالله أخبر أنه رسول الله إلينا جميعًا، والرسول هو الذي يأتي برسالة، والنبي كان ينطق ويتكلم بسنته صلى الله عليه وسلم التي يوحيها إليها ربه سبحانه وتعالى، فالنبي صلى الله عليه وسلم بلغ القرآن وبلغ السنة، وقال: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)[21]، أي الذي هو السنة، وكما قال حسان بن عطية: كان جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن. وجاء في أحاديث كثيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما يُسأل عن شيء لا يعلمه يأتيه الوحي فيخبره بما يقول، كقصة الذي أصبح

21

متلطخًا بخلوق وعليه جبة وأتى يسأل عن عمرته، فنزل عليه صلى الله عليه وسلم الوحي، ولما سري عنه صلى الله عليه وسلم أفتى ذلك السائل بأنه ينزع الجبة ويغسل عنه الخلوق ويصنع في عمرته ما هو صانعه في حجته، وهذا دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، وإنما يحكم ويقول بما أوحى الله عز وجل إليه.

ومن ابتغى الهدي في غير القرآن أضله الله عز وجل، ومن ابتغى العلم في غير القرآن خذله الله عز وجل، فالقرآن هو أساس القلوب، وهو التبيان والبيان.

قال ابن القيم:

فتدبر القرآن إن رمتَ الهدى **** فالعلم تحت تدبر القرآن

فالعلم كله تحت هذا القرآن، قال سبحانه: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: 33]، فالقرآن تبيان لكل شيء، كما قال تعال: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: 33].

فالاستغناء يأتي بمعنى الاكتفاء، ويأتي بمعنى التلاوة، قال صلى الله عليه وسلم: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن)[22]، ويتغنى بمعنى يترنم به ويتلوه ويرفع صوته به، وأما قول من يرى أن معنى يتغنى بالقرآن يكتفي به، فهذا لا يتعلق به السماع، فالذي يتعلق به السماع هو الصوت، ما أذن أي ما استمع، وتفسير ابن عيينة أن معنى يتغنى: يستغني به، ليس صحيحًا؛ لأن السياق يأباه، (ما أذن الله لشيء) والإذن يكون الاستماع والإنصات، فيتعلق بالصوت، ومع ذلك نقول: إذا كان التغني بالقرآن حسن فأعظم من ذلك الاكتفاء والاستغناء به عن غيره من الكتب السماوية.

قوله: وقول الله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [النحل: 89] الآية: فيدخل فيه المطلقات والمجملات ويدخل أيضًا فيه التفصيلات، فيدخل فيه الأصل، ويدخل فيه الفرع، ويدخل فيه الكل، ويدخل فيه الجزء، وإنما يدرك الواحد من القرآن على قدر تدبره وتعمقه في فهم كلام الله عز وجل، فيقرأ القرآن اثنان يفهم منه هذا شيء لا يفهمه الآخر، فالآية واحدة والذين يقرأون عرب ومع ذلك يدرك هذا من معانيها ما لا يدركه ذلك من معانيها، وإن كانا يتفقان أو يشتركان في أصل المعنى، فهذا يدخل فيه أيضًا {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [النحل: 89]، فالقرآن تبيان لكل شيء، فليس هناك شيء إلا وفي القرآن بيانه، إما بيان أصله، وإما بيان فرعه، فمثلًا يقول قائل: أنت تقول إن القرآن فيه تبيان كل شيء، فمن أين نأتي بأن البرتقال حلال؟ فهل في القرآن ذلك؟ نقول: نعم، وهو وقوله تعالى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ}

22

[الأعراف: 157]، فهذا يشمل جميع الطيبات، فيدخل في هذه الآية كل طيب في هذا الوجود علمناه أو جهلناه، بل هناك طيبات لا يعلمها إلا الله ولم ندرك حقيقة هذه الطيبات، ويحرم الخبائث {وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} [الأعراف: 157]، ولذلك لا يأتي آت ويقول: الدخان ليس في القرآن، أو يقول: إن الله لم يحرم الخمر في القرآن فلم ينص على ذلك. فنقول: لو لم يأت تحريم الخمر بعينه فقد أتى في قوله: {وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} [الأعراف: 157]، والخمر أم الخبائث، ولذلك فإن القرآن فيه بيان لكل شيء.

قوله: روى النسائي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى في يد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- ورقة من التوراة فقال: (أمتهوكون يا ابن الخطاب، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًا واتبعتموه وتركتموني ضللتم)، وفي رواية: (لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي)، فقال عمر: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيًا: التهوك هو الشك والريبة، وهذا الحديث رواه أحمد والنسائي والدارمي، وغيرهم من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله، ومرة يروى عن جابر الجعفي عن الشعبي عن جابر بن عبد الله، والحديث مداره على جابر الجعفي ومجالد بن سعيد، ولا شك أن جابر الجعفي متروك الحديث فلا يحتج به ولا يصلح للشواهد والمتابعات، وأما مجالد بن سعيد فضعفه أيسر، وجاء أيضًا من طريق علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق عن خليفة بن قيس عن خالد بن عرفطة عن عمر بن الخطاب، وفي إسناده ضعف، وهو عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعيف الحديث، وعلى كلٍ فالحديث إسناده ضعيف، ومعنى قوله: (أمتهوكون يا ابن الخطاب) أي متحيرون، شاكون، أو تحتاجون من يزيدكم علمًا وبيانًا في هذا الإسلام حتى تأتي بصحيفة من صحف بني إسرائيل.

وهذا الحديث يدل على أن المسلم مأمور وجوبًا وليس اختيارًا ألا يأخذ دينه إلا من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن من أعرض عن كتاب الله عز وجل ولم يجعله له شريعة وحجة بينه وبين الله عز وجل فليس بمسلم؛ لأن العمل بالقرآن والأخذ بالقرآن به يتعلق الإسلام، ولا يمكن للعبد أن يكون مسلمًا وهو معرض عن كتاب الله عز وجل، ولا يمكن أن يكون مسلمًا وهو معرض عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فالأخذ بالقرآن والسنة هما أصل الإسلام وتركهما هو أصل الضلال والكفر.

وخلاصة المبحث: أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يقول في هذا الفصل بأن أوجب الواجبات الأخذ بكتاب الله عز وجل، وألا يعارض كلام الله عز وجل بكلام

غيره، سواء بكلام أنبياء ورسل، أو بكلام دونه من البشر، ولا يمكن أن يتعارض كلام الله مع كلام رسله صلوات الله وسلامه عليهم؛ لأنه إذا تعارضا فليس هذا بقول النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك أيضًا لا يعارَض القرآن بغير الكتب السماوية، فالقرآن نزل مهيمنًا على جميع الكتب وناسخًا لجميع الكتب، وكل ما في الكتب السابقة فالقرآن ناسخه ولا يبقى لمسلم أو عبد أن يتمسك بشريعة غير شريعة الإسلام، ولا بكتاب غير كتاب القرآن، ومن تمسك بكتاب غير القرآن فهو كافر بالله العظيم.

مسألة: ما حكم النظر في الكتب السابقة؟.

الجواب: النظر في الكتب السابقة إذا كان من باب إحقاق الحق وإبطال الباطل فلا بأس، أو كان من باب رد الشبهات والرد على المخالفين والخصوم خاصة ممن يتلبس بهذا الدين وأراد أن يعرف أقوالهم ويعرف أصولهم فلا بأس به، وأما من اطلع فيها ورأى أن يزداد فيها من باب أن يزداد علمًا وهدى فهذا الذي لا يجوز.

مسألة 2: في قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: 44]، فهل يفسر الذكر هنا بالسنة؟.

الجواب: نعم، يفسر الذكر بالسنة، فالسنة تفسر القرآن وتبينه، ولذلك يقول بعض أهل العلم: القرآن أحوج إلى السنة من السنة للقرآن. بمعنى أن السنة تبين القرآن، والسنة تبين نفسها بنفسها.

الشريط: 9.

المتن

باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام

وقوله تعالى: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا} [الحج: 78].

عن الحارث الأشعري –رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (آمركم بخمس، الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم)، فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله)، رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

وفي الصحيح: (من فارق الجماعة شبرًا فميتته جاهلية)، وفيه: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم) قال أبو العباس: كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد، أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية، بل لما

اختصم مهاجري وأنصاري قال المهاجري: يا للمهاجرين! وقال الأنصاري: يا للأنصار! قال صلى الله عليه وسلم: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟) وغضب لذلك غضبًا شديدًا. انتهى كلامه.

*****الشرح*****

قوله: باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام، وقوله تعالى: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا} [الحج: 78]: تدرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تبويب هذا الكتاب، فلما ذكر فضل الإسلام، وذكر خطر من ترك الإسلام وأعرض عنه، ووجوب الاستغناء بمتابعة القرآن والسنة، انتقل بعد ذلك يبين خطر الدعوات التي تكون من المسلمين، وإن كان أهلها منتسبون إلى الإسلام، وذلك أن الدعوات كثيرة، إما دعوة لطائفة أو دعوة لحزب، أو دعوة لقبيلة، أو دعوة لعرق، أو دعوة لأرض، أو دعوة لشيخ، أو ما شابه ذلك، فكل دعوة تخالف دعوة الإسلام فهو دعوة باطلة، وكل دعوة تقوم على مخالفة الإسلام وحقيقة الإسلام فهي دعوة باطلة، ولذا ذكر قوله تعالى: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا} [الحج: 78]، أي أن اسم الإسلام سماكم الله عز وجل به في الكتب السابقة، وفي هذا أي وفي هذا القرآن أيضًا سماكم الله بالمسلمين، فدين الإسلام العام والخاص هو القيام على طاعة الله عز وجل وتحقيق توحيد الله عز وجل.

قوله: عن الحارث الأشعري –رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (آمركم بخمس، الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم)، فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله)، رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح: هذا حديث الحارث الأشعري الذي رواه الترمذي وغيره من طريق يحيى بن أبي كثير عن يحيى بن سلام عن جده ممطور الحبشي عن الحارث الأشعري، والحديث له قصة طويلة، وذلك أن عيسى عليه السلام أُمر بخمس كلمات، قاله يحيى بن زكريا، إما أن تقوم بها وإلا قمت بها أنا، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب. فذكر الخمس كلمات التي أمر الله بها عيسى عليه السلام، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن)، فأمر الله عز وجل عيسى عليه السلام بكلمات، وأمر الله النبي صلى

الله عليه وسلم بكلمات، ومن تلك الكلمات التي أمر الله عز وجل بها النبي صلى الله عليه وسلم: (السمع والطاعة) لولاة أمور المسلمين، وعدم الخروج عليهم ومنازعتهم إلا أن يُرى منه كفرًا بواحًا فلا سمع ولا طاعة.

ويبقى أن السمع والطاعة إما أن يكون في طاعة الله عز وجل، وإما أن يكون في معصية الله عز وجل، وإما أن يكون فيما هو منفعة وليس فيه مضرة، وأما ما كان طاعة فيطاع الآمر مطلقًا، سواء كان حاكمًا أم محكومًا، فكل من أمر بطاعة الله وكانت طاعته واجبة فإن طاعته واجبة، وأما من أمر بمستحب وله ولاية عامة فطاعته واجبة في هذا المستحب، وأما إذا أمر بمعصية الله عز وجل فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإنما الطاعة في المعروف، وأما إذا أمر بمباح وفيه مصلحة للمسلمين فإن ولي أمر من أمور المسلمين كانت طاعته واجبة، وأما إذا لم يكن هناك منفعة وإنما مصلحة خاصة فهنا يختلف أهل العلم في ذلك، والصحيح أنه إذا كان الحاكم أو ولي أمر المسلمين ممن تجب طاعته وأمره مباح فإنه يطاع، وموانع الطاعة إما أن يُرى منه كفرًا بواحًا، أو يكون أمره في معصية الله عز وجل، أو فيما لا منفعة فيه للمسلمين ولا للشخص نفسه، وهنا لا يكون هذا على الوجوب.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (والجهاد). أي آمركم بالجهاد، والمراد به الجهاد في سبيل الله عز وجل، سواء كانت جهاد طلب أم جهاد دفع، وأما جهاد الطلب فيكون على الكفاية، وأما جهاد الدفع فعلى حسب محل المسلم من هذا الجهاد، فإن كان في أرض نزل بها العدو وجب عليه عينًا أن يدافع، وإن كان خارج البلاد ونزل بها العدو نُظر في حاجة المسلمين لهذا الدفع، فإن وُجد من يكفي بدفع العدو فهو فرض كفاية، وإن لم يوجد تعين.

وقوله: (والجماعة). أي لزوم جماعة المسلمين وعدم تفريق كلمة المسلمين، وعدم إشعال الفتنة بين المسلمين، وتفريق جماعة المسلمين إما بحزب أو بطائفة أو بجماعة، وإنما يجمعهم الإسلام.

وقوله: (فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع). وفارق الجماعة أي خرج على جماعة المسلمين فيقتل فاجرهم وبرهم، بمعنى أنه ينزع يد الطاعة ويثير الفتنة ويفرق كلمة المسلمين، فهذا الذي إن فعل ذلك فقد مات ميتة جاهلية، وهذا على وعيد شديد، ومعنى أنه نزع ربقة الإسلام من عنقه أي أنه تخلق بأخلاق الكفار، ولبس ثياب الكفار، ولا يلزم من ذلك أن يكون كافرًا بالله عز وجل، ولكنه فَعَلَ فِعل الكفار بهذا الفعل.

قوله: ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم: وجثى جنهم هو الكوم الذي يجمع، فكل ما يُجمع يسمى جثى، بمعنى أن يكون من أكوام النار، فمن دعا بدعوى الجاهلية كأن يدعو لقبيلة أو يدعو لبلد أو يدعو لطائفة أو يدعو إلى حزب وينتصر له ويدافع عنه وينافح عنه، كمن يقول: يا لقحطان، والآخر يقول: يا لعتيبة، وما شابه ذلك، ويعتز بعزاء الجاهلية ويدعو بدعوى الجاهلية فهذا يكون جثى من جثى جنهم، أو يدعو لما يسمى بالحجازية والنجدية والجنوبية واليمانية والمصرية ويتحزب كل واحد منهم لبلده، فهذا أيضًا من دعوى الجاهلية، فإن أعظم دعوة تجمع الناس هي دعوة الإسلام، وأما إذا كان الاسم اسمًا إسلاميًا والإسلام هو الذي سماهم به، كالمهاجرين والأنصار، وقال أحدهم: يا للمهاجرين، وقال الآخر: يا للأنصار. فقال صلى الله عليه وسلم: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟)، فقد اختلف في المراد بدعوى الجاهلية أهو قولهم: يا للمهاجرين، ويا للأنصار؟ إذا كان الانتصار والتحزب لكونه مهاجرًا وليس للحق، فهذا من دعوى الجاهلية حتى لو كان الاسم اسمًا إسلاميًا، أو يمثل معنى من معاني الإسلام، كالسلفية أو الأثرية أو ما شابه، وكان الانتصار ليس للحق وإنما للحزب أو الطائفة فهو من دعوى الجاهلية وأهله جثى من جثى جنهم، فكل دعوة تقوم على نصرة طائفة أو حزب لا على نصرة حق وإقامته فإنها دعوى جاهلية وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

قوله: فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلى وصام؟ قال: (وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله)، رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح: ودعوى الله أن يدعو بالإسلام، فيقول مثلًا: يا للمسلمين، أو يا للمؤمنين، وينتصر لعباد الله المؤمنين.

وحديث الحارث الأشعري –رضي الله عنه- هو حديث صحيح، رجاله ثقات، وقد ذكره الدارقطني في (الإلزامات) التي تلزم مسلمًا أن يخرجه في صحيحه.

قوله: وفي الصحيح: (من فارق الجماعة شبرًا فميتته جاهلية): هذا الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما-، وجاء أيضًا من حديث أبي هريرة، ومفارقة الجماعة هي الخروج عن جماعة المسلمين، إما أن يخرج على ولي أمر المسلمين ويقاتل المسلمين وينابذهم، ويشق عصا جماعة المسلمين فيموت على هذا الحال فميتته ميتة جاهلية أي على فعل أهل الجاهلية، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: (لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض)، وكان من عادة أهل الجاهلية الأنفة أن ينقادوا لأحد، ولذلك كانت العرب متفرقة لا يجمعهم أمير، ولا ملك، وإنما

كانوا قبائل تحزبهم يكون للقبيلة ولم يكن هناك انقيادًا، بخلاف الشعوبية فإن عندهم الانقياد، فميتتهم ميتة جاهلية؛ لأنه لا ينقادون لإمام المسلمين، فمن فارق الجماعة وشق عصا الجماعة وشق عصا المسلمين فإن ميتته ميتة جاهلية.

قوله: وفيه: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم): أي وفي الصحيحين أيضًا من حديث جابر بن عبد الله قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين، رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ما بال دعوى الجاهلية) قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: (دعوها فإنها منتنة)[23]، وكسع بمعنى أنه ضربه على مؤخرته، ودعوى الجاهلية أن الانتصار والتحزب كان لأجل الطائفة ولأجل الوصف، ولم يكن لأجل الإسلام، وإن كان اسم المهاجري واسم الأنصاري اسم إسلامي أقره النبي صلى الله عليه وسلم وسماهم المهاجرين والأنصار، وجاء أيضًا ذكرهم في القرآن ومع ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما بال دعوى الجاهلية)، فسماها دعوى جاهلية؛ لأن انتصارهم وتحزبهم ليس للحق وإنما للطائفة والجماعة، وهذا التحزب وهذا الانتصار هو دعوى الجاهلية، فالجاهلي لا ينصر الحق وإنما ينصر الحزب والطائفة الذي ينتسب إليها، وأما الذي ينتصر للحق فلا يسمى جاهلية، وأما قولهم:

ومَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّة إِنْ غَوَتْ **** غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّة أَرْشُدِ

فهذا جاهلية، ومعنى هذا البيت: أنني من قبيلتي فإن غوت القبيلة غويت، وإن رشدت رشدت، فعلى أي حال تكون القبيلة أكون، وهذا يحصل الآن من بعض القبائل فيقول: أنا مع قبيلتي. سواء وافقت الحق أم لا، وهذه دعوى الجاهلية.

قوله: قال أبو العباس: وهو شيخ الإسلام ابن تيمية.

قوله: كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد، أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية: أي كل من تعزى بعزاء لغير الإسلام، سواء كان نسب قبيلة، أو بلد، أو جنس، أو مذهب، أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية.

قوله: بل لما اختصم مهاجري وأنصاري قال المهاجري: يا للمهاجرين! وقال الأنصاري: يا للأنصار! قال صلى الله عليه وسلم: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟) وغضب لذلك غضبًا شديدًا. انتهى كلامه: وغضب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن المهاجري عندما انتصر له أصحابه، وكذلك الأنصاري، لم يكن انتصارهم

23

للحق وإنما كان انتصارهم للطائفة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا)، قالوا: علمنا كيف ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: (أن تمنعه من ظلمه)[24]، هذا هو الحق الذي يجب على المسلم أن يفعله أن ينصر أخاه ظالمًا بأن يمنعه من ظلمه، وإن كان مظلومًا فإنه ينتصر له.

الشريط: 10.

المتن

باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه

وقول الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} [البقرة: 208] وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} [النساء: 60]الآية، وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام: 159]، قال ابن عباس –رضي الله عنهما- في قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} [آل عمران: 106] الآية (تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف).

عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أُمَّهُ علانية كان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا ملة واحدة)، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي).

فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق المصدوق في هذا المقام خصوصًا في قوله: (ما أنا عليه وأصحابي). يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة! رواه الترمذي، ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة وصححه، لكن ليس فيه ذكر النار، وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود وفيه: (أنه سيخرج من أمتي قوم تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله) وتقدم قوله: (ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية).

الشرح

قوله: باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه: هذا الوجوب هنا وجوب عيني، فيجب على كل عبد أن يدخل في الإسلام، ويجب على كل عبد دخل في الإسلام أن يأخذ بالإسلام كله، ولا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، والإسلام يؤخذ

24

كاملًا، وأما من رد بعض الإسلام وقبِل بعضه فليس بمسلم؛ لأن الإسلام يقوم على الاستسلام التام لله عز وجل، ولا يكون الإسلام تامًا إلا إذا استسلم تسليمًا تامًا كاملًا لشرع الله سبحانه وتعالى، ومعنى أن يأخذه كله هو أن يقبله وأن يعتقد أن هذا الأمر من الدين، وقد مر بنا في شروط (لا إله إلا الله) أن من شروطها: القبول. وقبولها أن يقبل هذه الكلمة وما جاء عن الله عز وجل، وأما من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض فليس بمؤمن، وأخذ بعض الدين وترك بعضه ليس دينًا وليس إسلامًا، وليس إيمانًا، فالله يقول هنا: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} [البقرة: 208]، أي ادخلوا في الإسلام جميعًا، فتدخل في جميع الإسلام، وهذا ما عليه جمهور المفسرين أنه يدخل في جميع الإسلام لا أن يأخذ ما يوافق هواه ويترك ما لا يوافقه، وهو أيضًا: {ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً}: أي ادخلوا جميعًا في الإسلام، فالخلق مخاطبون أن يدخلوا في دين الله عز وجل وأن يسلموا جميعًا، ومن دخل في الإسلام وجب عليه أن يأخذ بالدين كله، ويأخذ بالإسلام كله، فمن رد بعض الإسلام وقبل بعضه فليس بمسلم حتى ولو كان الذي رده ليس من أصول الدين، فالذي يقبل الإسلام ويقبل تحريم الزنا ولا يقبل تحريم الخمر فليس بمسلم، والذي يقبل تحريم الخمر ولا يقبل تحريم الزنا فليس بمسلم، بمعنى لا يعتقد حرمة الخمر، ولا يقبل دين الله عز وجل بتحريم هذا الأمر، وأما من يقبله ويخالف ويقع فهذا يبقى على الإسلام ويكون من فساق الملة، لكن إسلامه ناقص.

قوله: وقول الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} [البقرة: 208]: هذا كما تقدم.

قوله: وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} [النساء: 60]الآية: وتكملة الآية: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 60]، فالله سبحانه وتعالى نفى الإيمان عمن يزعم أنه مؤمن ويريد أن يتحاكم إلى غير شرع الله عز وجل، أو يريد أن يتحاكم إلى الطواغيت وإلى القوانين، فلا يتم إيمان عبد حتى يلتزم بحكم الله عز وجل، ويلتزم بالتحاكم إلى شرع الله سبحانه وتعالى، فالله يقول: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65]، أي لا يتم إيمان عبد ولا يصح إسلامه إلا أن يعتقد وجوب التحاكم إلى شرع الله عز وجل، وأما جوز التحاكم إلى غير شرع الله وفضّل ذلك أو ساواه بحكم الله عز وجل فهذا كافر بالله عز وجل، وأما من اعتقد وجوب التحاكم إلى شرع الله ورأى أن شرع الله هو الأفضل وأن حكم الله عز وجل هو

الذي يجب التحاكم إليه وأنه صالح لكل زمان ومكان وخالف أمر الله سبحانه وتعالى وتحاكم إلى غير شرعه، فهو واقع في كبيرة من كبائر الذنوب، إلا أن يكون الأمر الذي تحاكم إليه يتعلق بأصل الدين أو ينافي أصل الدين فعندئذ ينتفي إيمانه جملة وتفصيلًا، وأما إذا تحاكم في مسألة ليست هي أصل في الدين ولا يفسد دين العبد بسببها كأن يتحاكم في أمور كسرقة أو شرب أو في زنا بتعطيل حكم الله عز وجل، فهذا يكون مرتكبًا لكبيرة من كبائر الذنوب، ويكون إيمانه منفي، أي الإيمان الواجب قد انتفى عنه لكن يبقى معه أصل الإيمان، وليس المراد هنا نفي الإيمان المستحب وإنما المنفي هنا هو نفي الإيمان الواجب، {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ} أي الإيمان الواجب {حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}، وقد يكون المنفي أصل الإيمان إذا كان تحاكمهم مجوزًا، أو يتحاكمون إلى غير الله تجويزًا أو تفضيلًا أو مساواة فالمنفي يكون عندئذ أصل الإيمان.

فمن لم يكفر بالطاغوت ويعتقد بطلانه ويعتقد أن حكمه باطل فليس بمسلم، وهذا معنى أنه يجوّز التحاكم للطواغيت، أو يجوّز أو يساويها بحكم الله أو يفضلها على حكم الله، هذا معنى {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} [النساء: 60]، والكفر به هو اعتقاد بطلانه، واعتقاد تحريمه.

قوله: وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام: 159]: وأخذ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من هذه الآية أن الإيمان ببعض الدين وترك بعضه أنه من تفريق الدين، فقوله: {فَرَّقُوا دِينَهُمْ} أي جعلوا الدين مفرقًا، يقبل منه شيئًا ويرد شيئًا آخر، وقد مر أن ذكرنا أن الذي يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض فليس بمؤمن، بل لو آمن بالإسلام كله وأخذ به إلا خصلة واحدة من الإسلام لم يقبلها فلا يسمى مسلمًا، فالذي يؤمن بأن الله هو الإله، وأن محمدًا رسول الله، ويؤمن بأركان الإيمان وأركان الإسلام لكن لا يرى وجوب تحريم الخمر، فهذا كافر بالله عز وجل وليس بمسلم إلا أن يكون نشأ في بادية بعيدة أو حديث عهد بإسلام.

قوله: قال ابن عباس –رضي الله عنهما- في قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} [آل عمران: 106] الآية (تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف): هذا البياض وهذا السواد يكون يوم القيامة، فالناس إذا بعثوا يوم القيامة فإنهم يبعثون بأعمالهم وقلوبهم، فتبيض وجوه أهل السنة بأعمال أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدع بأعمال أهل البدع، والعبرة في يوم القيامة بالإيمان والتقوى، وليس بطول الأجساد ولا بعرضها ولا بألوانها ولا بأشكالها، وإنما يُبعث الناس يوم القيامة بأعمالهم، ولذا يأتي الرجل السمين العظيم لا يزن عند الله جناح

بعوضة، ويأتي العظماء والكبراء والمتكبرون يحشرون في أرض المحشر على صور الذر يطأ الناس في أرض المحشر، ويأتي الذي هو شديد البياض شديد الحمرة وهو من أهل الظلمة والكفر والضلال والبدع يأتي ووجهه مسودًا {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} [طه: 102]، أي وجوههم سوداء زرقاء.

وأما أهل السنة فيحشرون يوم القيامة وجوههم مستبشرة وفرحة مسرورة بيضاء، وهذه علامة يُعرف بها أهل السنة، ببياض ووجوههم، ويعرفون أيضًا بأطراف أقدامهم وأيديهم تلوح بياضًا من أثر الوضوء، ولذا قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف. وهذا السواد إما سواد يكون معه مسودة وجهه كافر بالله عز وجل، خالدًا مخلدًا في نار جهنم، وإنما أن يكون سواده سوادًا مؤقتًا وسوادًا أمديًا يعذب به على قذر ذنوبه وضلاله وبدعته ثم يكون بعد ذلك من أهل الجنة، وكما سبق أن ذكرنا أن أهل النار إذا دخلوا النار أكلتهم النار إلا مواضع السجود فيكونون فحمًا وسودًا عند أبواب النار، ثم يأتي الشفعاء من أهل الجنة فيخرجونهم من النار يعرفونهم بدائرة وجوههم، ثم يلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ويدخلون الجنة، وعلى جباههم علامة الجهنميين يقال لهم: عتقاء الله من النار، فيدعون الله بعد ذلك حتى يزيل الله عز وجل عنهم هذا الاسم، وأثر ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق عبد الكريم الجزري، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وهذا إسناد صحيح.

قوله: عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أُمَّهُ علانية كان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا ملة واحدة)، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي): هذا الحديث رواه الآجري في (شريعته)، ورواه ابن بطة في (الإبانة)، ورواه ابن وضاح في (كتاب البدع)، ورواه غير واحد من طريق عبد الرحمن بن زياد الأفريقي عن عبد الله بن يزيد الحبلي عن عبد الله بن عمرو، وهذا الإسناد فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي وهو منكر الحديث، وهذا الحديث ضعيف بهذا اللفظ، وأما تفرق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، جاء من حديث معاوية بإسناد صحيح، ومن حديث أبي هريرة بإسناد جيد، وجاء عن أنس، وعن عوف بن مالك الأشجعي، وعن عدد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم –رضي الله عنهم-، أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين

فرقة، كلها في النار إلا واحدة، والمراد أن الأمة على الصحيح هي أمة الإجابة، وليست أمة الدعوة، فأمة الدعوة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (افترقت اليهود والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة)، فأفاد ذلك أن أمة الدعوة افترقت على ثلاث وسبعين فرقة، وأمة الإجابة افترقت على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، ومن عدّ أهل البدع والضلال من الخوارج والروافض والصوفية والمرجئة والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية بطوائفهم جاوزوا الثلاث وسبعين فرقة، وإنما ينجو يوم القيامة مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهم: أهل السنة، وهم السواد الأعظم المتبعون لهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

وسياق شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لهذه الأحاديث في كتاب فضل الإسلام وفي هذا الباب ليبين أن من ترك الإسلام أو أخذ ببعض الإسلام وترك بعض أو زلت قدمه في فهم الإسلام أو ابتدع في دين الله ما ليس منه أو اتبع هواه وخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه داخل في هذا الحديث، وأنه من أهل النار، ودخول هؤلاء النار إما دخول أبدي وإما دخول أمدي، فإما يدخلونها كفارًا، وإما يدخلونها مسلمين يعذبون فيها إلى ما شاء الله أن يعذبوا على حسب بدعتهم، فإن البدع تختلف، فهناك من بدعته مكفرة، وهناك من بدعته مفسقة، فإن كان ممن بدعته مكفرة وقد قامت عليه الحجة فدخوله النار دخولًا أبدي، ومن كانت بدعته مفسقة فيعذب بقدر بدعته ثم يكون من أهل الجنة.

قوله: فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق المصدوق في هذا المقام خصوصًا في قوله: (ما أنا عليه وأصحابي): وما أحسن ما قال أنس عندما قال: لو خرج أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما عرفوا من الإسلام إلا أنكم تصلون جماعة. وهذا يقوله أنس –رضي الله عنه- في القرن الأول، ولذا يقول الأوزاعي: فكيف لو خرج في ماننا. وقال ابن القيم تعقيبًا على كلام الأوزاعي: فكيف لو خرج في زماننا. فكيف لو خرج أحد من الصحابة في هذا الزمان وأصبح يرى الباطل معروفًا والمنكر معروفًا والفساد صلاحًا ويرى من يتبرأ من الإسلام وأهل الإسلام ويوالي الكفار ويناصرهم ويعادي أهل الإسلام؟! فإذا كان هذا في القرن الأول لا يعرف منهم إلا أنهم يصلون جماعة، وهم المتمسكون بالكتاب والسنة، المتبعون لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول أنس هذا فيهم، فكيف لو خرج خارج في هذا الزمان ورأى أحوال الناس وكيف هم مخالفون لدين الله عز وجل.

قوله: يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة! رواه الترمذي: أي أن حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي رواه الترمذي في سننه وفي وعبد الرحمن ضعيف الحديث.

قوله: ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة وصححه، لكن ليس فيه ذكر النار: حديث أبي هريرة جاء من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وإسناده جيد، وفيه: (افترقت اليهود والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة).

قوله: وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود وفيه: (أنه سيخرج من أمتي قوم تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله): تجارى بهم تلك الأهواء أي تجري بهم وتكون معهم الأهواء، كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، والكَلَب هو داء الكلب لمن عضه كلب مسعور، وداء الكلب سريع الانتقال والانتشار في جسد من عضه الكلب، فشبه النبي صلى الله عليه وسلم تجاري الأهواء بهم وأن من عقوبات أهل الأهواء أنه يتمادى في طغيانه وضلاله، فإذا دخل الإنسان باب البدع فلا تنتهي بدعته إلا إلى بدعة أخرى، والبدعة الأخرى تجره إلى بدعة أخرى كما يتجارى داء الكلب بصاحبه، فالبدع والأهواء تتجارى بأصحابها حتى لا يبقى منه مفصل، فإذا تمسك بشيء من السنة مع وقوعه في البدعة تحمله تلك البدعة على ترك السنة وإبدالها ببدعة أخرى حتى لا يبقى معه شيء من السنة والإسلام، وهذا هو الحاصل، فإذا دخل الإنسان في البدع وسلك مسلك البدع تتجارى به البدع حتى تدخل البدع في أصل دينه وفي أصل إسلامه، وهذا من باب العقوبة؛ لأنه ترك السنة وأبدلها بالبدع، ولذا يقال: من وقع في بدعة فإنه في وقوعه في بالبدعة فقد أمات سنة تقابلها، ومن أحيا سنة فقد أمات بدعة. فالإنسان الذي يحيي البدع كلما أحيا بدعة فقد أمات سنة حتى يكون عمله كله قائمًا على البدع وعلى البطلان.

وحديث معاوية –رضي الله عنه- حديث جيد رواه أزهر بن عبد الله عن أبي عامر عبد الله بن لحي عن معاوية بن أبي سفيان، وهذا إسناد صحيح.

قوله: وتقدم قوله: (ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية): سبق ذكر هذا الخبر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه)، رواه البخاري، فهؤلاء الثلاثة أبغض الناس إلى الله عز وجل، وهذا كله يدل على أن من ترك شيئًا من الإسلام وأحيا البدع ونشر ذلك بين المسلمين

فإنه عدو لله عز وجل يوم القيامة، والذي يحدث في دين الله عز وجل ما ليس منه يعاقب بعقوبات، فمن عقوباته: أنه يذاد عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (فإنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا)[25]، وأيضًا من عقوباته: أنه ينصب له لواء عند استه يوم القيامة يقال: هذه غدرة فلان بن فلان، ومنها أيضًا: أن الله ورسوله خصمه يوم القيامة، وكفى بهذا تقبيحًا للابتداع في دين الله عز وجل، وأيضًا: أن البدع والأهواء سبب للخروج من دائرة الإسلام، فالذنب يجر إلى ذنب آخر، والكفر بريده المعاصي، فإذا وقع العبد في البدعة والضلال وتمادى في ذلك فقد تحمله بدعته إلى ما هو شر من ذلك، فانظر إلى الخوارج وهذا الرجل الذي قال: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل. وقوله صلى الله عليه وسلم فيهم: (يخرجون من الدين ثم لا يعودون فيه)، ولذا قال أنس: إن الله لا يقبل توبة مبتدع. أو كما قال –رضي الله عنه-، وهذا معناه أن المبتدع لا يوفق إلى التوبة ولا يوفق إلى ترك بدعته؛ لأنه يحسب أنه على هدى وعلى حق، {زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ} [التوبة: 37] ويحبسون أنهم مهتدون.

وخلاصة هذا الباب: أن الواجب على المسلم أن يدخل في السلم كافة، وأن يأخذ دين الله عز وجل كله، وأن يجتنب الأهواء والبدع، وأن يعبد الله على طريقة وهدي محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يعمل وفق هدي رسولنا صلى الله عليه وسلم، فإن من عمل عملًا ليس عليه أمر النبي صلى الله عليه وسلم فهو محدث وبدعة.

الشريط: 11.

المتن

باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر

لقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48]، وقوله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: 144]، وقوله تعالى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} [النحل: 25].

وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال في الخوارج: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد)، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا.

وعن جرير عن عبد الله –رضي الله عنه- أن رجلًا تصدق بصدقة ثم تتابع الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله

25

أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)، رواه مسلم.

وله مثله من حديث أبي هريرة ولفظة: (من دعا إلى هدى)، ثم قال: (من دعا إلى ضلالة).

*****الشرح*****

قوله: باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر: هذا الباب في التحذير من البدع، وبيان خطرها على المسلم، وبين المؤلف هنا حالها وشأنها بالنسبة لغيرها من الذنوب، وقد ذكر ابن القيم في عقباته التي يجعلها الشيطان عقبات في طريق المؤمن أن الشيطان له سبع عقبات، إذا سلم العبد من عقبة جعل في طريقه العقبة الأخرى إلى سبع عقبات، أما العقبة الأولى فهي عقبة الشرك بالله عز وجل، فأعظم ما يسعى له الشيطان هو أن يجعلك تشرك بالله سبحانه وتعالى أو تكفر؛ لأنك بشرك وكفرك تخرج من دائرة الإسلام وتخلد في نار جهنم، وهذا أعظم ما يسعى له الشيطان، فإن فتَّه في هذه العقبة انتقل معك إلى عقبة أخرى وهي عقبة الافتراء والكذب على الله عز وجل من طريق البدع والمحدثات.

فالبدعة أحب إلى الشيطان من المعصية؛ لأن البدعة صاحبها لا يتوب منها، وقل أن يتوب مبتدع من بدعته، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه)، وهذا دليل على أن صاحب البدعة ينتقل من بدعة إلى بدعة، وأيضًا أن صاحب البدعة يضاهي الله عز وجل في شرعه، ويضاهي رسول الله صلى الله عليه وسلم في تشريعه، فهو يفتري على الله عز وجل بأن ينسب أمرًا أو فعلًا إلى شريعة الله عز وجل، وهذا من الأمور التي تفلح الشيطان، وثالثًا: أن المبتدع عمله يدوم إما من جهة نفسه، وإما من جهة دعوة غيره، ولذا من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها، وهذه أوجه تدل على أن جنس البدع أعظم من جنس الكبائر.

فإن عجز أن يأتيك الشيطان من باب الافتراء والبدع جاءك من باب الكبائر، فإن عجز أن يأتيك من باب الكبائر أتاك من باب الصغائر، فإن عجز أن يأتيك من باب الصغائر أتاك من باب الإسراف في المباحات، فإن عجز عن ذلك أتاك في تقديم المفضول على الفاضل، حتى يشغلك عن الأفضل والأكمل، فتسمع الأذان وتقرأ القرآن فيحبب لك قراءة القرآن على إجابة المؤذن، فهذا وجه قول شيخ الإسلام محمد بن عبد

الوهاب: باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر. أشد؛ لأن صاحبها لا يتوب منها، ولأنه زُين له سوء عمله، ولأنه يضاهي الله عز وجل في شرعه وتشريعه، {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: 21].

فالمبتدع ينزل منزلة هذا الذي جعل نفسه مضاهيًا لربه في تشريعه، وإن كان هذا من جهة الجملة وإلا فإن عوام المسلمين قد لا يستشعرون هذا الأمر، ولكن من باب توجيه كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كيف تكون البدعة أشد من الكبيرة؟ هذا من باب الجنس، وإلا فهناك كبائر أعظم من البدع، فالبدع تختلف من شخص إلى شخص، فبدعة تتعلق بزيادة لفظة في الذكر ليست كمن يقع في الزنا واللواط، فهذه أعظم وهي الوقوع في فاحشة الزنا واللواط، وإن كان ذلك الذي ابتدع تلك البدعة على خطر، لكن من جهة المقارنة لا نقول هذا مثل هذا، إلا أن يكون مشرّعًا مضيفًا هذا الأمر إلى الله عز وجل وناسبًا هذا الأمر إلى الله ورسوله فيدخل تحت الافتراء على الله سبحانه وتعالى، ومن يقول على الله عز وجل بغير علم، فالله عز وجل لما ذكر المحرمات قال: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 33]، فجعل القول على الله عز وجل بغير علم أعظم من الشرك بالله عز وجل؛ لأن القائل على الله بغير علم مفتريًا على الله الكذب، فإذا كان المبتدع ينسب بدعته إلى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فإنه عندئذ يكون أعظم من الوقوع في هذه الفواحش والكبائر، لكن عوام الناس لا يضيفون هذه البدع إلى دين الله عز وجل، وإنما يحسنها الشيطان لهم من باب التقرب إلى الله عز وجل، {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا} [الحديد: 27]، وهذا حال كثير من المسلمين، ولذا عرّف الشاطبي البدعة في أصلها: هي اختراع شيء على غير مثال سابق. فهي من الاختراع والإنشاء.

وأما من جهة الشرع: فالبدعة أن يتعبد الله عز وجل بأمر لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود سببه، فهذا هو تعريف البدعة، فكل ما أُحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود سبب في زمنه صلى الله عليه وسلم.

وقد عرفها الشاطبي فقال: هي عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية.

والبدع تنقسم إلى أقسام:

القسم الأول: بدعة أصلية، وهي البدع التي ليس لها أصل، كبدعة المولد، فهذه ليس لها أصل.

القسم الثاني: بدعة إضافية، وهي التي يكون أصلها مشروع لكن يزيد في فروعها عملًا يبتدعه، فالصلاة في أصلها مشروعة، لكن لو ابتدع صلاة في أوقات النهي فتكون هذه الصلاة بدعة، لكنها بدعة إضافية؛ لأن أصل الصلاة مشروع، وكذلك الذكر أصله مشروع، لكن قد يزيد ذكرًا ففي قولنا: ربنا ولك الحمد. عند الرفع من الركوع، يزيد البعض فيقول: ربنا ولك الحمد والشكر. فيزيد لفظة: الشكر، فهذه اللفظة غير مشروعة، والتعبد لله عز وجل بها من المحدثات والبدع، لكن هذه بدعة إضافية لا أصلية؛ لأن أصل الذكر مشروع.

والبدع كلها ضلال، وليس هناك بدعة حسنة, ليس هناك بدعة مكروهة أو مشروعة، بل البدع كلها ضلال، كما قال صلى الله عليه وسلم: (وكل بدعة ضلالة)، وليس هناك أن البدعة تقسم على أحكام التكليف الخمسة، كما قال ذلك النووي وقال قبله العز بن عبد السلام، فهذا له أصل، بل نقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وكل بدعة ضلالة)، والأمور التي يقصد بها من يقول: إن هناك بدعة حسنة. تدخل تحت مسمى المصلحة المرسلة، ولا تسمى بدعة؛ لأن البدعة هي التي لا تُشرع من أصلها، وليس لها حاجة ولم يوجد سببها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفُعلت بعده، أما ما يحتاجه الناس، كطباعة الكتب، فلم تكن موجودة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه الطباعة لا تخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هو من الإحداث في دين الله عز وجل، وإنما هو من المصالح المرسلة التي يحتاجها الناس ولا تخالف شرع الله عز وجل، ولذا فإن البدع في الغايات وليست في الوسائل، فالوسائل لا تدخلها البدع؛ لأن الباب فيها باب واسع.

قوله: لقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48]: هذه الآية قد تشكل على بعض الناس، كيف ينزل الشيخ محمد بن عبد الوهاب المبتدع منزلة المشرك، ويستدل على أن البدع أشد من الكبائر بهذه الآية؟ هذه الآية لا شك أنها في المشركين ومن أشرك بالله عز وجل الشرك الأكبر والشرك الأصغر فإن الله عز وجل لا يغفر شركه؛ لعموم قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48]، واستدلال الشيخ هنا يدل على عظيم فهمه، وعلى دقيق علمه، قال الله سبحانه وتعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: 21]، فجعل الشيخ منزلة المبتدع منزلة من جعل نفسه ربًا مع الله عز وجل، أو إلهًا مع الله سبحانه وتعالى، حيث ضاهى ربه في التشريع،

فالتشريع ملك لله عز وجل، وهو مرده إلى الله سبحانه وتعالى، وليس لأحد أن يزيد في شرع الله عز وجل شيء.

ولذا لما أنزل الله قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} [المائدة: 3]، قال كعب الأحبار لعمر بن الخطاب –رضي الله عنه- بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم: آية في كتاب الله لو علينا نزلت معشر يهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. فقال عمر: والله، لقد علمت تلك الآية وفي أي يوم نزلت، نزلت يوم عرفة، والنبي صلى الله عليه وسلم قائم في عرفة. ولذا المبتدع كأنه يقول: إن دين الله ناقص. ولذا قال الإمام مالك عندما جاءه سائل يسأله عن إحرامه من المسجد؟ فقال: لا تفعل. فقال: وأي شيء في ذلك إنما أزيد أمتارًا. فقال: لا تفعل، إني أخشى عليك الفتنة. قال: وأي فتنة؟ قال: أن تزيد على شرع الله عز وجل، قال سبحانه: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63].

فجعل الزيادة على شرع الله عز وجل أنه من أعظم أسباب الفتنة أن يفتن الإنسان في دينه، فلأجل هذا أنزل الشيخ محمد بن عبد الوهاب البدعة منزلة أنها لا تُغفر؛ لأن المبتدع الداعي إلى بدعته الذي يضاهي ببدعته الشريعة والطريقة الشرعية قد جعل نفسه ربًا مع الله، وجعل نفسه إلهًا مع الله عز وجل، ولذا قال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: 21]، فكأن الشيخ يميل إلى أن المفتري على الله، والذي يجعل في دين الله ما ليس منه، أن الله لا يغفر له يوم القيامة.

قوله: وقوله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: 144]: فلا شك أنه ليس هناك أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا، وأعظم الناس إثمًا وكفرًا وضلالًا الذي يقول على الله عز وجل بغير علم ويفتري على الله سبحانه وتعالى، وأعظم الافتراء أن يجعل نفسه إلهًا مع الله، أو يجعل نفسه ربًا مع الله، أو يجعل نفسه نبيًا ورسولًا، أن الله أوحى إليه، فهذا من أعظم الافتراء.

قوله: قوله: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} [النحل: 25]: استدل الشيخ أيضًا على تعظيم أمر البدعة وأن أمرها خطير أشد من الكبائر: أن الكبيرة ذنبها يتعلق بصاحبها ولا يتجاوز غيره إليه، بمعنى أن من وقع في الزنا، أو وقع في أي فاحشة من المحرمات فإن الذنب يكون عليه فقط، ولا يأخذ وزر غيره، ولا يتحمل أوزار من وقع في الزنا بعده، فإن كل واحد منهم يأخذ وزره ويتحمل ذنبه، وأما المبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعة وضلال فإنه

يحمل وزره ووزر من عمل ببدعته إلى قيام الساعة، ولذا جاء في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه-: (أن كل نفس تقتل فإن ورزها على ابن آدم الأول، فهو أول من سن القتل)[26]، فكل قتل يكون في الأرض يصب في ميزان أول قاتل من بني آدم وهو ابن آدم الذي قتل أخاه، فهذا أيضًا مما يدل على عظيم أمر البدعة، وأن خطرها عظيم، فكل من ابتدع بدعة واتبعه الناس على بدعته فإن أوزار المتبعين يأخذون أثمهم وذنبهم ويزاد عليه في ذلك أوزار غيره، فمن دعا إلى ضلالة فإن الذي اتبعه يأخذ إثمه ثم يأخذ الداعي إثم من اتبعه على تلك البدعة والضلالة، ولو تبعه آلاف الخلق، بل لو تبعه مئات الآلاف بل الملايين كلهم يصبون في ميزان سيئاته يوم القيامة؛ لأنه دعا إلى ضلالة.

فمثلًا بشر ين غياث المريسي –لعنه الله- الذي ابتدع بدعة القول بخلق القرآن، واتبعه ابن أبي دؤاد وغيره من أهل البدع، فكل هؤلاء دعوتهم هذه كل من اتبعهم عليها فإنه يصب في ميزان سيئاتهم أوزار من اتبعه إلى قيام الساعة، وهذا أيضًا فيمن ابتدع بدعة حتى لو كانت البدعة معصية، فلو أن إنسانًا دعا إلى معصية الله عز وجل وقنن معصية لله عز وجل واتبعه الناس على المعصية، فكل من عمل المعصية فإن وزره يكون على من أمر بها وأنشأها وابتدأها، وهذا كله يدل على عظيم خطر البدع، ودعوة الناس إل الباطل، لذا قال تعالى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} [النحل: 25]، فكل من دعا إلى ضلالة ودعا إلى بدعة واتبعه الناس على بدعته وضلاله فإنه يأخذ أوزارهم وآثامهم يوم القيامة.

قوله: وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال في الخوارج: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد): هذا الحديث في البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الخوارج: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم)، وجاء أيضًا من حديث علي بن أبي طالب –رضي الله عنه-، وهناك أيضًا أحاديث كثيرة في قتال الخوارج، وهذا أحد الأدلة الدالة على أن المبتدع أعظم خطرًا من صاحب الكبيرة، وأن البدعة أشد من الكبيرة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل المبتدع كالخوارج، قال: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم)، ويدل على عظيم خطر المبتدع، وقد نص العلماء أن من يدعو إلى بدعة ويكون رأسًا في بدعته إن كانت بدعته مكفرة أنه يقتل.

26

وقد حكى ابن خزيمة لمن قال بخلق القرآن أن تضرب عنقه ويلقى على المزابل، فقال: هذا حكمي على من قال: إن القرآن مخلوق. وكلام أهل العلم في هذا كثير جدًا بقتل دعاة الضلال والأهواء من أهل البدع الذين بدعتهم مكفرة، وكأن الشيخ يميل أن من أوجه جعل البدعة أعظم من الكبيرة أن المبتدع قد يقتل، وأما صاحب الكبيرة فلا يقتل أبدًا إلا إن كانت كبيرته تستوجب قصاصًا أو تستوجب رجمًا، بشروطه، كالزاني إذا زنا وهو محصن فإنه يرجم، وكذلك من قتل نفسًا فإن هناك القصاص، وهناك أمور تستوجب القتل، لكن في قوله صلى الله عليه وسلم: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد)، يدل على أن المبتدع يقتل إذا كان رأسًا في الضلال والبدعة.

قوله: وفيه أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا: هذا اللفظ ليس بصحيح، ولعل الشيخ قصده وفيه أنه نهى عن قتال أمراء الجور، بمعنى مقاتلتهم، كما في حديث أم سلمة الذي رواه مسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع) قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: (لا، ما صلوا)[27]، وليس المعنى نقتلهم، لكن الشيخ قد يكون أراد أن من لوازم المقاتلة القتل، لكن الحديث جاء فيه: أفلا نقاتلهم. ولذا فالصحيح أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتال أمراء الجور ما صلوا، بمعنى أن ما دام الأمراء على الإسلام باقيين، وهم مظهرون لشعائر الإسلام الظاهرة ولم يتلبسوا بكفر بواح يعلمه العام والخاص، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إلا أن تروا كفرًا بواحًا)، فإذا كان كذلك فإننا لا نقاتلهم حتى يتركوا الصلاة ويأتوا بكفر بواحًا.

قوله: وعن جرير عن عبد الله –رضي الله عنه- أن رجلًا تصدق بصدقة ثم تتابع الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)، رواه مسلم: هذا في خطر دعاة الضلالة وعظيم جرمهم وعظيم بشاعة أفعالهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى الصدقة، فجاء رجل فتصدق بصدقة فتتابع الناس، فقد جاء أُناس من عرينة والنبي صلى الله عليه وسلم ومن فقرهم وحالهم دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصدقة، فقام رجل وتصدق بصدقة فتتابع الناس بعد تصدق هذا الرجل بالصدقة، فقال صلى الله عليه وسلم: (من سن في الإسلام سنة حسنة)، وهذا يدل على أنها سنة، ومعنى سن هنا أي أحيا سنة كانت موجودة، وليس

27

المعنى أنه أتى بسنة لم تكون سنة قبل ذلك، فمن سن سنة كانت موجودة أي أحيا سنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة أي سن طريقة في الإسلام سيئة، لأن السنة تأتي بمعنى الطريقة، فمن سن سنة سيئة واتبعه الناس عليها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا إلى قيام الساعة، فكل من اتبعه على هذا الضلال وعلى هذا الطريق السيء كان عليه وزره ووزر من عمل بسنته السيئة والباطلة إلى قيام الساعة.

قوله: وله مثله من حديث أبي هريرة ولفظة: (من دعا إلى هدى)، ثم قال: (من دعا إلى ضلالة): أي وله في صحيح مسلم أيضًا من طريق العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا)[28]، فشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في هذا الباب يبين خطر البدعة وأن خطرها عظيم وأنها أشد من الكبائر من جهة الجنس ومن جهة ما يترتب عليها من عقوبات، ولا يلزم من هذا أن يكون أفراد البدع أعظم من أفراد المعاصي بكل وجه، بل قد تكون بعض المعاصي أفرادها أعظم من بعض أفراد البدع، لكن من جهة الجنس فإن جنس البدع أعظم وأشد من جنس الكبائر والمعاصي.

الشريط: 12.

*****المتن*****

باب ما جاء أن الله احتجر التوبة على صاحب البدعة

هذا مروي من حديث أنس، ومن مراسيل الحسن.

وذكر ابن وضاح، عن أيوب قال: كان عندنا رجل يرى رأيًا فتركه، فأتيت محمد بن سيرين فقلت: أشعرت أن فلانًا ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول؟ إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه).

وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: لا يوفق للتوبة.

*****الشرح*****

28

قوله: باب ما جاء أن الله احتجر التوبة على صاحب البدعة، هذا مروي من حديث أنس: ذكر ذلك ابن وضاح في كتاب (البدع والنهي عنها) من طريق محمد بن عبد الرحمن عن حميد الطويل عن أنس –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله حجز التوبة عن كل صاحب بدعة)، وجاء أيضًا من طريق أبي ضمرة أنس بن عياض عن حميد الطويل عن أنس، رواه هارون بن موسى الفروي، وكلا الإسنادين باطل، فالأول فيه محمد بن عبد الرحمن القشيري وهو تالف متروك، والثاني فيه هارون بنم وسى الفروي، وهو أيضًا مثله، فالحديث بهذا الإسناد لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: ومن مراسيل الحسن: من طريق محمد عن هشام عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أبى الله لصاحب بدعة بتوبة)، وهو أيضًا مثل الذي قبله، وجاء من طريق مخلد بن حسين عن هشام عن الحسن، مثله، والحديث لا يصح لا مرسلًا ولا متصلًا ولا مرفوعًا ولا موقوفًا، إلا أن هذا القول وهو أن الله عز وجل حجز التوبة عن صاحب بدعة ليس من باب أن المبتدع لا يتوب، وليس من باب أن المبتدع إذا تاب لا يقبل الله توبته، وأن المبتدع إذا تبين له الحق ورجع فإن الله لا يقبل رجوعه، قال سبحانه: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} [التوبة: 104]، وقال سبحانه: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: 53]، وقال تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: 31]، فالله أمر بالتوبة، وحث عليها وأخبر أنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ولا شك أن هذه النصوص العامة يدخل تحتها المسلم والكافر، والسني والمبتدع، فمن تاب تاب الله عليه، ومن أقبل قبله الله عز وجل، ومن رجع تلقاه ربنا سبحانه وتعالى بعفوه ومغفرته، إلا أن معنى هذا القول أن الله حجز التوبة عن كل صاحب بدعة، بمعنى كما قال الإمام أحمد أنه لا يوفق للتوبة؛ لأنه زُين له عمله.

وقد جاء في حديث أبي سعيد في الصحيحين قال: (يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه)، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يمرقون من الدين، ومروقهم هو خروجهم، وأخبر أنهم بعد مروقهم لا يرجعون، وهذا هو الحاصل والأكثر من حال المبتدعة، أنه يُزين له سوء عمله ويرى أنه على هدى وأنه مخالفه على ضلال، ولذا فإن الشيطان أفرج بالبدعة من المعصية، فالمعصية يعلم صاحبها أنه عاص لله، ويسلي نفسه دائمًا بأنه سوف يتوب ويرجع إلى الله عز وجل، وأما المبتدع فيزين له الشيطان

عمله ويرى أنه على هدى {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا} [فاطر: 8]، هكذا هو المبتدع يرى عمله حسنًا وزين له الشيطان أعماله، وإلا فمن قرأ في التاريخ ونظر في الواقع يرى أن من المبتدعة من تاب، فهناك من الجهمية من تاب، وهناك من الخوارج من تاب، وهناك من الروافض من تاب، وهناك من غيرهم من المبتدعة من تاب إلى الله عز وجل، فالتوبة تُقبل من كل عبد، لكن المبتدع والضال أنه لا قد لا يوفق للتوبة لسوء عمله ولشؤم عمله، ولأن الشيطان زين له سوء عمله وأراه عمله حسنًا، وظن أنه على هدى.

فهذا الباب في فضل الإسلام يدل على أن المسلم يتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويتمسك بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يزيد على شرع الله شيئًا، وأنك تقع في المعصية خير لك من أن تقع في بدعة تخالف فيها هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمناسبة هذا الباب لكتاب فضل الإسلام، أن المتمسك بالإسلام وبسنة النبي صلى الله عليه وسلم يكفيه من فضائل تمسكه أن توبته تُقبل، ومن فضائله أنه حري به أن يتوب، وحري به أن يوفق للعمل الصالح والتوبة والرجوع إلى الله عز وجل، فما دام أنه على السنة والهدى فإن مثل يوفق لترك المعاصي والذنوب والتوبة إلى الله والرجوع إليه، بخلاف من خالف هدي الإسلام وخالف هدي محمد صلى الله عليه وسلم فإن من شر مخالفته أنه يُحرم التوبة ولا يوفق لها، وهذا هو الذي ذكره الإمام أحمد فقال: لا يوفق للتوبة.

الشريط: 13.

المتن

باب قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ} [آل عمران: 65] إلى قوله: {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: 67].

وقوله: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [البقرة: 130]، وفيه حديث الخوارج، وقد تقدم، وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون)، وفيه أيضًا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال آخر: أما أنا فأقوم ولا أنام. وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء. وقال آخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر. فقال صلى الله عليه وسلم: (لكنني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن

رغب عن سنتي فليس مني)، فتأمل إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمي فعله رغوبًا عن السنة، فما ظنك بغير هذا من البدع وما ظنك بغير الصحابة؟.

*****الشرح*****

قوله: باب قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ} [آل عمران: 65] إلى قوله: {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: 67]: هذه الآية ساقها الإمام محمد بن عبد الوهاب في فضل الإسلام وفي هذا الباب وهو المجادلة والمحاجة في الباطل دون علم، ففي هذه الآية يقول الله عز وجل: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ} أي لما تحتجون على أن إبراهيم منكم، سواء كانوا يهودًا أو نصارى، فكانت اليهود تقول بأن إبراهيم عليه السلام منهم، وكانت النصارى تقول بأن إبراهيم منهم، وإبراهيم عليه السلام كان قبل أن يوجد يهودًا أو يوجد نصرانيًا، وقبل أن يوجد دين اليهود وقبل أن يوجد دين النصارى، فذكر هذه الآية في هذا الباب يبين أن إبراهيم عليه السلام كان أمة قانتًا لله عز وجل، وأن أولى الناس به محمد صلى الله عليه وسلم {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ} [آل عمران: 68].

فإذا امتدح الله عز وجل إبراهيم عليه السلام فكذلك المدح يلحق أتباعه، ويؤخذ من هذا فضل الإسلام؛ لأن الإسلام على ملة إبراهيم عليه السلام، فمحمد صلى الله عليه وسلم كان على ملة إبراهيم عليه السلام وكان حنيفيًا صلى الله عليه وسلم، وقال: (بعثت بالحنيفية السمحة)، فيستدل بهذا على فضل الإسلام أن إبراهيم أمة قانتًا لله عز وجل، وأن أولى الناس بإبراهيم عليه السلام هو محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه.

ويحتج أيضًا بهذه الآية على أن الإنسان إذا عرف الحق، وكان على طريق واضح وبيّن أنه لا يلتفت إلى من خالفه، ولا يلتفت إلى من أراد أن ينازعه الحق والفضل الذي فيه، فكما أن اليهود والنصارى تنازعوا في إبراهيم وأنه منهم، وكلهم مبطل وعلى باطل في هذه الدعوى فكذلك ينبغي على المسلم إذا نازعه أهل الأهواء أو نازعه أهل البدع والضلال وأهل الانحراف أن يزداد تمسكًا بدينه، وأن يزداد ثباتًا على تحقيق توحيده لله عز وجل.

وأيضًا يؤخذ من هذا أن مما يناقض الإسلام المحاجة والمجادلة في تغيير دين الله عز وجل، مما يناقض الإسلام وينافيه ويخالفه المحاجة الباطلة والمجادلة الباطلة، فمن المحاجة والمجادلة ما يخرج صاحبه من الإسلام، إذا جادل في إحقاق باطل مخالفًا

لدين الله عز وجل، أو يكون مناقضًا لتوحيد الله عز وجل، يكون بمجادلته ومناقضته قد أشرك وكفر بالله عز وجل، فالله سبحانه وتعالى أنكر على اليهود وأنكر على النصارى في محاجتهم بغير علم، فقال: {وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [آل عمران: 65]، فالله أنكر عليهم، كيف تحتجون بأن إبراهيم منهم ويحاج بعضهم بعضًا وهم لم يوجدوا إلا بعد إبراهيم عليه السلام، وهذا يدل على جهلهم بدعوى إبراهيم عليه السلام وحقيقته.

قوله: وقوله: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [البقرة: 130]: ولا شك أن من رغب عن ملة إبراهيم عليه السلام فهو الذي سفه نفسه وضل، وفي هذا دلالة على فضل أهل الإسلام؛ لأنه تمسكوا بدين إبراهيم، واتبعوا نهجه، وساروا على طريقته، ومحمد صلى الله عليه وسلم بُعث بالحنيفية السمحة، وكل من خرج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فقد خرج عن شريعة إبراهيم عليه السلام، وكل من ترك ملة إبراهيم عليه السلام فقد سفه نفسه وترك أيضًا ملة محمد صلى الله عليه وسلم، فملة محمد صلى الله عليه وسلم متفقة من جهة أصلها ومن جهة بعض شرائعها، فإبراهيم عليه السلام هو الذي نادى بالحج، ومحمد صلى الله عليه وسلم سار على طريقته في الحج وفي الطواف بالبيت وما يكون في مناسك الحج، ففي هذه الآية والتي قبلها دلالة على فضل الإسلام؛ لأن إبراهيم امتدحه الله عز وجل وامتدح من كان على ملته وطريقته وذم من خالفه وخالف طريقته، وأسعد الناس باتباعه هم أهل الإسلام، وأما الذين خالفوا فهم الذي سفهوا أنفسهم، والله اصطفاه في الدنيا وأخبر أنه في الآخرة من الصالحين.

ويؤخذ من هذه الآية أن كل من رغب عن الحق فقد سفه نفسه، وأن كل من رغب عن الحق فقد ضل، وأن المسلم الذي يلزمه هو أن يتبع الحق ولا ينظر إلى من خالفه؛ لأن المخالف للحق يكون فيه أمران:

الأمر الأول: أنه سفيه حيث سفه نفسه وأضلها.

الأمر الثاني: أنه ضال في الدنيا وفي الآخرة أيضًا.

قوله: وفيه حديث الخوارج، وقد تقدم: أي وفي هذا الباب حديث الخوارج وقد تقدم، قال صلى الله عليه وسلم: (لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد)، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)، وأخبر أنهم يصلون ويصومون حتى أن أحدنا يحقر صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، ومع ذلك أخبر أنهم يمرقون من الدين، فالعبرة باتباع السنة والنهج والملة الصحيحة وليس العبرة

بكثرة العمل، فالعبرة بالكيف وليس بالكم، وهو كيف تعمل وعملك على أي هدي وعلى أي طريقة، وليس بكثرة العمل، فالخوارج كانوا من أكثر الناس عملًا، فكانوا على صيام وعلى صلاة وعلى قيام وعلى ذكر وعلى أعمال صالحة كثيرة لكنهم من أهل النار، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد)، فأفاد هذا أن العبرة في الإسلام هو اتباع السنة، واتباع الهدي الصحيح، وليس العبرة بكثرة العمل، وأن الموفق للسنة أنه على خير عظيم وإن قل عمله وقل اجتهاده، فقليله كثير عند الله عز وجل، وكثير غيره يجعله الله عز وجل إذا لم يكن على السنة هباء منثورًا.

قوله: وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون): هذا حديث ابن أبي أوفى وقد رواه البخاري ومسلم، فالإسلام يرفع ويفضل ويعز، فآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لا يرتفعون إلا بالإسلام، فلم يرفعهم كونهم من بني هاشم، أو كونهم من قريش، وإنما رفعهم وجعلهم من خيرة خلق الله كونهم من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم اتباعًا لا نسبًا، فالذي رفعهم هو الإسلام، فلما كانوا من آل بيته وأسلموا وكانوا على الهدي فضلوا أيضًا أنهم من أهله وقرابته، فأفاد هذا أيضًا أن المتمسك بالإسلام وعلى هدي محمد صلى الله عليه وسلم أنه وإن بعد نسبه أفضل ممن قربه نسبه من النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير هديه، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء)، وقد جاء في بعض الروايات أن آل أبي فلان أنهم آل بعض أهل بيته الذين لم يكونوا على الإسلام وعلى الطريقة الصحيحة، ثم أخبر بأن أولياءه المتقون المؤمنون.

قوله: وفيه أيضًا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال آخر: أما أنا فأقوم ولا أنام. وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء. وقال آخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر. فقال صلى الله عليه وسلم: (لكنني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني)، فتأمل إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمي فعله رغوبًا عن السنة، فما ظنك بغير هذا من البدع وما ظنك بغير الصحابة؟: فالعبرة بالاتباع، والعبرة بأن يسير المسلم على هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يكون عمله صالحًا صوابًا، متبعًا فيه السنة، مخلصًا فيه لله عز وجل، فإذا كان هؤلاء الصحابة على علو منزلتهم وعلى علو درجتهم وعلى كثرة عبادتهم، سمى النبي صلى الله عليه وسلم فعلهم رغوبًا عن السنة، وهم يريدون الزيادة في التبتل والعبادة، وضلوا بهذا القصد، عند قال أحدهم: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال آخر: أما أنا فأقوم ولا أنام.

وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء. وقال آخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر. فهذا أعمال لم يكلف بها العبد على وجه الدوام، وأما زواج النساء فلا يجوز للمسلم أن يمتنع منه مع وجود رغبته فيه، وكذلك امتناعه من أكل اللحم فهذا خلاف هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

فإذا كان هذا مع الصحابة فكيف بمن ابتدع بدعًا لم يأت لها أصل؛ لأن البدع تنقسم إلى قسمين: بدع أصلية، وبدع إضافية، فإذا كان هذه البدع التي ابتدعها هؤلاء بدع أصلية وهي أشر أنواع البدع، أو كانت بدع إضافية وهو أن يكون العمل في أصله مشروعًا، كقيام الليل، فإن أصله مشروع، لكن المداومة عليه والاستمرار عليه فهذا هو الذي منع منه النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك لو أن الإنسان أكل اللحم طبًا أو لحاجة فلا حرج، وإنما يتعبد لله بتركه للحم فهذا محدثًا في دين الله عز وجل، فكيف بالذي يأتي بما هو أصله محرم أو ما هو أصله فاسد وباطل ثم يلزم الناس به، أو يتعبد الله بالمحرم، كتقبيل المردان، أو التصفيق والرقص فهو من البدع المنكرة، فهي في أصلها منكرة ثم تزيد نكارتها بأن يُتعبد بها لله عز وجل.

وخلاصة هذا الباب: أن المسلم يلزم السنة، ويلزم الطريقة الصحيحة، والعبرة أن يكون العمل صوابًا وأن يكون مخلصًا فيه لله عز وجل، وليس العبرة بكثرة العمل، وليس العبرة أيضًا بكثرة التبتل، وإنما العبرة أن يكون عمله وفق هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأفاد أيضًا أن الإنسان لا يتكلم إلا بعلم، ولا يتقرب إلى الله عز وجل إلا بما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأن الإسلام فضله عظيم، وأن أهل الإسلام هم من أفضل أهل الأرض، فالمسلمون هم أفضل أهل الأرض قاطبة، بل المسلمون بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من غيرهم ممن سبقوهم حتى ولو كانوا في الأمم السابقة، فأمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم مما سيأتي بعدهم أو ممن سيتقدمهم، والله عز وجل قال: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: 110]، إذا حققنا الإسلام وقمنا بأمر الله عز وجل، وأما إذا تركنا الإسلام أو تخلفنا عن شريعة الله عز وجل فإن العرب من أشقى الخلق والخليقة.

الشريط: 14.

المتن

باب قول الله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: 30].

وقوله تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 132].

وقوله: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: 123].

وعن ابن مسعود –رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لكل نبي ولاة من النبيين، وأنا وليي منهم أبي إبراهيم وخليل ربي) ثم قرأ: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 68]، رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

ولهما عن ابن مسعود –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن إلي رجال من أمتي حتى إذا أهويت لأناولهم احتجبوا دوني فأقول: أي رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

ولهما عن أبي هريرة –رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (وددت أنا قد رأينا إخواننا) قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: (أنتم أصحابي، وإخواني هم الذين لم يأتوا بعد)، قالوا: فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: (أرأيتم لو أن رجلًا له خيل غر محجلة بين ظهراني خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟) قالوا: بلى قال: (فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال يوم القيامة عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا).

وللبخاري: (بينا أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة -فذكر مثله- قال: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم).

ولهما من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-: (فأقول كما قال العبد الصالح: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: 117].

ولهما عنه مرفوعًا: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟

حتى تكونوا أنتم تجدعونها) ثم قرأ أبو هريرة –رضي الله عنه-: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: 30]، متفق عليه.

وعن حذيفة –رضي الله عنه- قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وأنا أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم)، فقلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم وفيه دخن)، قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر)، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم فتنة عمياء، ودعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا)، قلت: يا رسول الله، ما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، قلت: وإن لم يكن جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك) أخرجاه، وزاد مسلم: ثم ماذا؟ قال: (يخرج الدجال معه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره وحط عنه وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره)، قلت ثم ماذا؟ قال: (هي قيام الساعة).

قال أبو العالية: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإنه الإسلام، ولا تحرفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وإياكم وهذه الأهواء. انتهى.

تأمل كلام أبي العالية –رحمه الله تعالى- هذا ما أجله، واعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام، وتفسير الإسلام بالسنة، وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السنة والكتاب، يتبين لك معنى قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ} [البقرة: 131]، وقوله: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 132]، وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول، والناس عنها في غفلة، وبمعرفته يتبين معاني الأحاديث في هذا الباب وأمثالها، وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله، ويظنها في قوم كانوا فبادوا أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وعن ابن مسعود –رضي الله عنه- قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا ثم قال: (هذا سبيل الله)، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: (هذه

سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه وقرأ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: 153]، رواه أحمد والنسائي.

*****الشرح*****

قوله: باب قول الله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: 30]:

أي أن دين الإسلام هو الدين الذي فطر الله عز وجل الناس عليه، وأن هذا الدين هو الدين القيم، الذي أمر الله عز وجل به جميع الأنبياء، وجميع الرسل أن يتمسكوا به، فأمر الله نبيه بقوله: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا} أي استقم عليه، واجعل مرادك ووجهتك الاستقامة على هذا الدين الحنيفي، وسمي حنيفًا؛ لأن المتمسك به مال بكليته من الشرك إلى التوحيد، ومن البدعة إلى السنة، أي تمسك بدين الله عز وجل التمسك التام من تحقيق توحيد الله عز وجل، ومن اتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} وهي الإسلام على الصحيح، كما قال صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة)، أي على الإسلام، ومعنى ذلك أنه مهيأ لقبول الحق والاستسلام له والتسليم له، (فأبواه يهودانه) أي يحرفانه عن الدين الصحيح والدين القيم إلى اليهودية أو إلى النصرانية، {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} والمراد بخلق الله هنا الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فإما أن يكون من باب الأمر أي لا تبدلوا الناس عن دين الله عز وجل، وإما أن يكون من باب الإخبار أي أن دين الله لا يتبدل ولا يتغير الذي هو دين الإسلام.

ودعوة الرسل والأنبياء واحدة من لدن آدم عليه إلى السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم ودعوتهم أن يُعبد الله وحده، وإن اختلفت شرائعهم فإن دينهم واحد الذي هو دين الإسلام، وهذا {الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}، فالله سبحانه وتعالى في هذه الآيات يظهر فضل التمسك بملة إبراهيم عليه السلام، ويظهر فضل التمسك بالإسلام والسنة، وأن التمسك بالإسلام والسنة هو الذي أراده الله عز وجل؛ لأن الأمر بقوله: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا} فلا يستقيم هذا الأمر إلا بالتمسك بالكتاب والسنة، وأن التمسك بالكتاب والسنة هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهذه الآية أمرها واضح في فضل دين الإسلام، وأن دين الإسلام هو دين الأنبياء، وأن الإسلام هو الحنيفي الذي بعث به الأنبياء جميعًا.

وكما قال صلى الله عليه وسلم في حديث عياض بن حمار -رضي الله عنه- فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى: (خلقت عبادي حنفاء)[29]، وجاء في الحديث الآخر: (كل مولود يولد على الملة)[30]، أي على الحنيفية، فذكر هذه الآية في كتاب فضل الإسلام ليبين أن دين الإسلام هو الدين القيم، وأنه الدين الحنيفي، وأن الله أمر بالتمسك به وأن يقيم المسلم وجهه لله عز وجل، وأن هذا الدين هو فطرة الله التي فطر الناس عليها على الصحيح من أقوال أهل العلم، ففطرة الله هو الإسلام، وقيل: فطرة الله أي ما فطر الله الناس عليه من قبول الحق.

قوله: وقوله تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 132]: هذا أيضًا فيه أن إبراهيم عليه السلام يوصي بنيه بأن يتمسكوا بهذا الدين، وأخبر أن هذا دين إبراهيم عليه السلام مما اصطفاه به ربنا سبحانه وتعالى، وبه اصطفى ذريته، ولذا أُمر نبينا صلى الله عليه وسلم أن يكون على ملة إبراهيم حنيفًا.

قوله: وقوله: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: 123]: أي أوحينا إليك أن اتبع طريقة إبراهيم الحنيفية، وكونه حنيفًا أي كان مائلًا بكليته من الشرك إلى التوحيد، ومن البدعة إلى السنة ومن الضلالة إلى الهدى، ولم يكن من المشركين، فالله عز وجل زكى إبراهيم بعدة تزكيات، فوصفهم أنه أمة، وقانت، وحنيفي، وأكد حنيفيته بقوله: {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، مما يدل على فضل هذا الحنيفية أن إبراهيم عليه السلام أُمر نبينا صلى الله عليه وسلم بمتابعته.

قوله: وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لكل نبي ولاة من النبيين، وأنا وليي منهم أبي إبراهيم وخليل ربي) ثم قرأ: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 68]، رواه الترمذي: فأولى الناس بإبراهيم عليه السلام هو محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبعوه، والذين آمنوا بإبراهيم عليه السلام أيضًا، فهم أولى الناس بإبراهيم عليه السلام، فهذا الحديث يدل على فضل إبراهيم عليه السلام، وأنه كان على حنيفية سمحة، وأنه كان أمة قانتًا لله عز وجل، وإسناد هذا الحديث صحيح، رواه الترمذي من طريق سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود -رضي الله عنه-، وجاء من طريق أبي أحمد الزبيري،

29

30

وجاء أيضًا من طريق محمد بن عمر الواقدي، ومن طريق محمد بن عبيد الطنافسي، وأصحها ما جاء من رواية أبي أحمد ومحمد بن عبيد الطنافسي، وإن كانت رواية أبي أحمد عن سفيان فيها شيء من الكلام لكن يشهد له رواية محمد بن عبيد الطنافسي.

قال الترمذي: حدثنا محمود قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ولم يقل فيه عن مسروق: هذا أصح من حديث أبي الضحى عن مسروق. اهـ.

أي أن الحديث أعله الترمذي بالانقطاع، وأنه من رواية أبي الضحى عن ابن مسعود دون ذكر مسروق، وجاء أيضًا من طريق روح بن عبادة عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود، وقال ابن أبي حاتم: هذا خطأ، رواه المتقنون من أصحاب الثوري عن الثوري عن أبيه عن أبي الضحى عن عبد الله. وعلى هذا نقول: إن هذا الحديث معلول وعلته أن أصحاب سفيان من المتقنين يروونه من طريق أبي الضحى عن ابن مسعود دون ذكر مسروق، فيكون الحديث منقطعًا فإن أبا الضحى لم يسمع من ابن مسعود، وقد رجح بعضهم أن الزيادة زيادة ثقة وتقبل، لكن الصحيح أن الحديث معل بهذه العلة، فيكون منقطعًا[31]، ومع ذلك فالله أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملة إبراهيم.

قوله: وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم): هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه، وإسناده صحيح، وهذا الحديث يدل على أن العبرة هو بالاتباع، والشاهد منه قوله: (ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)، وأما الظاهر والأشكال والأجسام والأموال، فهذه لا ينظر الله إليها، فالذي يُنظر إليه هو هو قلب العبد وما قام فيه من تحقيق التوحيد من اتباع السنة، وما قام بجوارحه من الأعمال الموافقة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، فالعبد إذا كان قلبه مخلصًا لله عز وجل، وكان قلبه صالحًا مخبتًا لله عز وجل، وأعماله وفق السنة فهذا الذي ينظر الله إليه، وإذا نظر الله إلى عبد فإن نظره إليه دليل رحمته وفلاحه وفوزه، بخلاف من أعرض الله عنه فهذه دلالة الشقاء ودلالة السخط عليه من الله عز وجل.

وذكر هذا الحديث في باب فضل الإسلام أن المسلم يتبع الطريق الصحيح، ولا يغره كثرة المخالفين، ولا كثرة المعارضين، وخاصة أن أكثر من يعارض الحق دائمًا

---

[31] المفرغ: الشيخ ذكر في أول الكلام أن الحديث إسناده صحيح، وبعد أن ذكر الطرق قال: إسناده منقطعًا. فينظر في هذا.

هم أصحاب الجاه والمال، وأن أكثر من يتبعهم دائمًا الفقراء والمساكين، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم فيحرص المسلم أن يقيم عمله وفق السنة، وأن يجعله قلبه مخبتًا سليمًا لله عز وجل.

قوله: ولهما عن ابن مسعود ــرضي الله عنهـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن إلي رجال من أمتي حتى إذا أهويت لأناولهم احتجبوا دوني فأقول: أي رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك): هذا الحديث في الصحيحين، وفرطكم أي سابقكم ومتقدمكم على الحوض، والحديث يدل على أن من يترك السنة أو يحدث في دين الله عز وجل ما ليس منه أنه ممن يحجب ويحرم من ورود حوض النبي صلى الله عليه وسلم، فقوله: (لا تدري ما أحدثوا بعدك)، أي ما غيروا وبدلوا من دينك، سواء ابتداء أو تحريفًا وتغييرًا وتبديلًا، والمحرف والمبتدع إما أن يفعل ذلك جهلًا، وإما أن يفعل ذلك عنادًا، ومن فعل ذلك جهلًا وقد بُين له فلا يعذر بجهله إذا كان أسباب العلم متوفرة، كذلك من عاند كان عذابه وخسارته أعظم، والحديث فيه دليل على التمسك بالسنة، ولزوم السنة، وألا يغير ولا يبدل؛ لأن التغيير والتبديل سبب لأن يُصرف ويحال بينه وبين ورود حوض النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد ورد من أسباب المنع الدخول على الظلمة، وتصديقهم في كذبهم، وإعانتهم على ظلمهم، وقد ورد أيضًا في ذلك أن المحدث في دين الله عز وجل يُمنع من ورود حوض النبي صلى الله عليه وسلم، ودليله: (لا تدري ما أحدثوا بعدك)، أي من التبديل في دينك، ويدخل في هذا رؤوس أهل البدع والضلال ومن تابعهم ووافقهم على ذلك.

ومفهوم المخالفة في ذلك أن المتمسك بالسنة المحافظ على هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه هو الذي يرد حوض النبي صلى الله عليه وسلم، يعرفون بغرتهم وبتحجيلهم، وأما أولئك فيظهر عليهم أنهم من أهل الإسلام لكن الملائكة تمنعهم وتحول بينهم وبين ورود الحوض لما أحدثوا في دين الله من البدع والخرافات، والحديث في الصحيحين.

قوله: ولهما: يقصد بذلك في الصحيحين، والصحيح أن الحديث في مسلم وليس في البخاري، فلعل هذا سبق قلم من الشيخ ــرحمه الله-.

قوله: عن أبي هريرة ــرضي الله عنهـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (وددت أنا قد رأينا إخواننا) قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: (أنتم أصحابي): هذا دليل على أنهم يسمون الصحابة، والصحبة أفضل من رتبة الإخوة،

وهذا دليل صريح صحيح أن من لقي النبي صلى الله عليه وسلم يسمى صحابيًا؛ لأن هناك من يقول: ما الدليل على أنه يسمى صحابيًا؟. نقول دليله قوله تعالى في سورة التوبة: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: 40]، فسماه بصاحبه، وقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: (أنتم أصحابي)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (فهل أنتم تاركوا لي صاحبي)[32].

قوله: (وإخواني هم الذين لم يأتوا بعد): أفاد هذا الحديث أن المتمسك بالسنة يأخذ هذا الوصف أنه من إخوان النبي صلى الله عليه وسلم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم يتمنى رؤيته، وأما المحدث المخالف فهذا ممن يحال بينه وبين ورود حوض النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: قالوا: فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: (أرأيتم لو أن رجلًا له خيل غر محجلة بين ظهراني خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟) قالوا: بلى قال: (فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال يوم القيامة عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا): أي يعرف النبي صلى الله عليه وسلم إخوانه الذين آمنوا به واتبعوه وكانوا على السنة بهذا الوصف، وأن الذين بدلوا وغيروا وأحدثوا أنهم يذادون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كله يدل على فضل التمسك بالسنة، والتمسك بهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: وللبخاري: (بينا أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة -فذكر مثله- قال: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم): هذا يدل على أن الذين يذادون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم كثير حيث قال: (فلا أره يخلص منهم إلا مثل همل النعم)، وذلك أن المخالفين المبدلين لسنة النبي صلى الله عليه وسلم كثير، خاصة من نظر في أحوال المسلمين في هذه الأزمنة يرى المنتسبين للإسلام المتلبسين بلباس الإسلام كثير، ولكن أهل السنة المتمسكون بها بينهم قليل، فيأتي هؤلاء القوم يوم القيامة ذرافات ووحدانًا يعرفون بالإسلام، وأنهم يحافظون على وضوئهم، فيعرفون بالغرة والتحجيل لكن يقال: (لا تدري ما أحدثوا بعدك)، فهذا الحديث يدل على فضيلة التمسك بالإسلام والتزام هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

32

قوله: ولهما من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-: (فأقول كما قال العبد الصالح: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: 117]، ولهما عنه مرفوعًا: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها) ثم قرأ أبو هريرة – رضي الله عنه-: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: 30]، متفق عليه: هذا يدل على أن كل مولود يولد على الفطرة، والمولود الذي يولد على الفطرة إن كان من أبوين مسلمين فحكمه حكم المسلمين، ويسمى أنه مسلم، ويدفن مع المسلمين ويكون من أهل الجنة، وأما من كان من أبوين كافرين فيلحقهم حكمًا في الدنيا ويفارقهم حكمًا في الآخرة، فيدفن في مقابرهم ولا يغسل ولا يصلى عليه؛ لأنه في حكم آبائه، وأما في الآخرة فحكمه حكم المسلمين؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل مولود يولد على الفطرة).

وقد جاء في صحيح البخاري في رؤية إبراهيم عليه السلام وحوله أطفال، فقال قائل: وأولاد المشركين؟ قال: (وأولاد المشركين)، فأفاد هذا الحديث أن أولاد المشركين أيضًا أنهم يكونون في كفالة إبراهيم عليه السلام، فمن كل من مات دون الحنث فيدخل في هذا المعنى، على خلاف بين أهل العلم من بلغ عشر سنوات هل يصح كفره أو لا يصح، فقوله: (كل مولود يولد على الفطرة) دليل على أن الأصل هو الإسلام، وأن الفطرة هي دين الإسلام، وأن المخالف للفطرة مخالف للإسلام، وأن الإسلام يأمر بكل ما دلت عليه الفطرة، ولا يمكن أن يأمر الإسلام بشيء يخالف الفطرة، وأن التغيير والتبديل لا يكون من الإسلام وإنما يكون من المخالفين له سواء من اليهود أو النصارى أو ممن ينتسب إلى الإسلام إذا غيّر فطرته، وهذا الحديث فيه فضل الإسلام، وأنه دين الفطرة، وأنه الدين القيم، والدين الحنيفي.

قوله: وعن حذيفة –رضي الله عنه- قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وأنا أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم)، فقلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم وفيه دخن): أي فيه نقص.

قوله: قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر): وهذا حال كثير من المسلمين، يتمسك بشيء من الحق ويتمسك بشيء من الباطل، ويفعل حقًا ويفعل باطلًا، فهذا هو الدخن الذي يكون في أهل الإسلام.

قوله: قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم فتنة عمياء، ودعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها): والدعاة هنا إما دعاة شبهات، وإما دعاة شهوات، وأكثر ما يضل الناس هم دعاة الشهوات؛ لأن الناس لهم أتبع، فأتباع الشهوات كثير، حيث يوافق النفوس والهوى، وأيضًا أتباع الشبهات كثير لكن الناظر في أحوال الناس أن دعاة الشهوات أكثر؛ لأنهم يدعون إلى ما فيه حظوظ أنفسهم من مال، أو من منكح، أو من مركب، والناس لهم في ذلك تبع، دعاءة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها.

قوله: قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا): أي ليسوا من غيرنا، بل يتكلمون بألسنتنا.

قوله: قلت: يا رسول الله، ما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم): يظهر من الحديث أن هؤلاء الدعاة يدخل فيهم دعاة الخوارج الذين يخرجون على أهل الإسلام، ويسفكون الدماء، ويستبيحون دماء المسلمين، وأن من أدرك ذلك الزمان وأدرك دعاة الفتنة ودعاة الفساد أنه يلزم جماعة المسلمين، ويحتمل أيضًا أنه إذا وقع في الفتن وكثر دعاة الشهوات وأظهر الناس المنكرات أن أهل الإيمان تضيق بهم نفوسهم، وتضييق صدورهم، فيحملهم ذلك على مناكفة أهل الباطل بالسيف والسنان، فالنبي صلى الله عليه وسلم وجَّه من أدرك ذلك الزمان أن يلزم جماعة المسلمين وأن يصبر، وألا يسفك دمًا، وسواء الشبهات أو الشهوات فإن المسلم يلزم جماعة المسلمين ولا يريق دماء المسلمين، وهذا يحصل، فلو أن مثلًا أهل فساد وأظهروا المنكرات وأشاعوا الفاحشة والمنكر بين الناس، فأهل الدين لا يتحملون ولا يصبرون، فلو طاوع الإنسان هواه، وطاوع نفسه لناكفهم بالسيف والقتال والسنان فأراق دماء المسلمين، فهنا يأمر النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الأحوال أن يلزم جماعة المسلمين وأن يصبر، كما قال في الحديث: (حتى يستريح بر أو يُستراح من فاجر)، كذلك في دعاة الشبهات يكون الحكم كذلك، شبهات ويدعون إلى ضلال فمن تبعهم وأطاعهم قذفوه في النار، والخلاصة من الحديث: أن النجاة لا تكون إلا بالتمسك بالإسلام والسنة، فيظهر في هذا الحديث فضل التمسك بالإسلام، وفضل التمسك بالسنة حتى ولو عض عليها بنواجذه.

قوله: قلت: وإن لم يكن جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك) أخرجاه: فتموت وأنت متمسك بالسنة وعلى الإسلام خير لك من أن تتبع دعاة الفتن والشبهات.

قوله: وزاد مسلم: ثم ماذا؟ قال: (يخرج الدجال معه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره وحط عنه وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره)، قلت ثم ماذا؟ قال: (هي قيام الساعة): هذه الزيادة عن أبي داود، وهذا دليل على أن دعاة الشبهات والشهوات يكونون ويكثرون بين يدي الدجال وأنه في آخر الزمان، وذكر أن الدعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها، أن شر أولئك الدعاة وأعظمهم فتنة الذي يأتي بدعوة الشبهات وبدعوة الشهوات، ومن جمع بينهما هو الدجال، فالدجال أتى بفتنة الشبهات وفتنة الشهوات، فمعه الدنيا ومعه النار، فمن وقع في ناره وجب أجره وحط عنه وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره، أي أن ناره جنة وجنته نار، وذكر الدجال في دعاة جهنم أنه أعظم دعاة جهنم هو الدجال، وقبله دجالون كثيرون، ثلاثون دجالًا كلهم دعاة على أبواب جهنم، قال: ثم ماذا؟ قال: (هي قيام الساعة).

قوله: قال أبو العالية: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإنه الإسلام، ولا تحرفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وإياكم وهذه الأهواء. انتهى: هذا جاء من طريق حماد بن زيد عن أبي عاصم الأحول، قال أبو العالية: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه. وهذه وصية لأهل العلم إذا تعلموا أن يلتزموا ويتمسكوا بما علموا، وأعظم ما يثبت العلم هو العمل، أن يعمل بهذا العلم، ثم أوصى إذا تعلم الإسلام، بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط يمينًا بالبدع والخرافات، ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء، فوصية أبي العالية هنا التمسك بالسنة والصراط المستقيم، وترك الأهواء والشهوات وترك الشبهات أيضًا، ولا نجاة للعبد إلا بترك الشبهات وترك الشهوات، وتُدفع الشبهات بالعلم، وتدفع الشهوات بالتقوى.

قوله: تأمل كلام أبي العالية ــرحمه الله تعالى- هذا ما أجله، واعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام: أي اعرف زمان أبي العالية في القرن الأول، فأبو العالية ممن أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كابن عباس، وغيره من الصحابة، ومع ذلك يوصي أهل زمانه ألا ينحرفوا يمنة وشمالًا، فكيف لو أدرك أبو العالية زماننا.

قوله: وتفسير الإسلام بالسنة، وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السنة والكتاب، يتبين لك معنى قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ} [البقرة: 131]: هذا يقوله ربنا لإبراهيم عليه السلام، الذي وصفه بأنه كان أمة قانتًا لله حنيفًا، فإذا كان ربنا عز وجل يوصي إبراهيم عليه السلام بالإسلام، أفاد أن الأخذ

بالإسلام هو الأخذ بالدين كله، وأن المتمسك بالإسلام على الوجه الصحيح هو الذي يأخذ بمجامع الدين، وأن الوصية بالإسلام هي الوصية بالخير كله.

قوله: وقوله: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 132]، وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول، والناس عنها في غفلة، وبمعرفته يتبين معاني الأحاديث في هذا الباب وأمثالها: فالناس في غفلة عن أصل الدين، وعن التمسك بدين الإسلام، بل تراه لا يبالي، بل منهم من يعجب إذا ذكرته بفضل الإسلام، أو رغبته بالتمسك بالإسلام، ويرى أن هذا شيء حاصل وواقع، وما علم المسكين أن الله عز وجل أمر خليله أن يسلم.

قوله: وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله، ويظنها في قوم كانوا فبادوا أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون: أي أن هؤلاء أمنوا مكر الله، والله عز وجل يقول: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: 99]، والمسلم دائمًا في قلق وفي خوف أن يسلب إيمانه، ولذا يقول سفيان: من أمن إيمانه سُلب منه. وكما قال الحسن: ما خاف النفاق إلا مؤمن وما أمنه إلا منافق. ولا يأمن المسلم مكر الله عز وجل.

قوله: وعن ابن مسعود –رضي الله عنه- قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا ثم قال: (هذا سبيل الله)، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: (هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه وقرأ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: 153]، رواه أحمد والنسائي: هذا الحديث رواه عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل، وزر، عن ابن مسعود، فدين الإسلام دين مستقيم، وطريق مستقيم، وهذا هو الصراط، وهناك سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وهذه الطرق هي بنيات الطريق من سلكها أو أخذ بها فقد انحرف عن الإسلام وانحرف عن السنة وانحرف عن الدين الصحيح، وعلى قدر انحرافه يكون زلله على الصراط المستقيم يوم القيامة، وعلى قدر تمسكه بالصراط والتزامه له على قدر ما يثبت يوم القيامة على الصراط الذي ينصب على متن جهنم، فهذه الأحاديث التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كلها تدل على فضل الإسلام، وأن المتمسك بدين الإسلام التمسك الصحيح هو الناجي في الدنيا وهو الناجي في الآخرة وهو الذي يرد حوض النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي تثبت قدمه على الصراط وينجو من كلاليب النار التي تخطف الناس على الصراط بأعمالهم

وزلاتهم وأنه لا يسلم من دعوة الشبهات والشهوات إلا من تمسك بالإسلام وأقام وجهه للدين القيم، وكان على الحنيفية السمحة.

الشريط: 15.

المتن

باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء

وقول الله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ} [هود: 116]، وعن أبي هريرة ــرضي الله عنه- مرفوعًا: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء)، رواه مسلم، ورواه أحمد من حديث ابن مسعود ــرضي الله عنه- وفيه: من الغرباء؟ قال: (النزاع من القبائل). وفي رواية: (الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس).

وللترمذي من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده: (طوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي).

وعن أبي أمية قال: سألت أبا ثعلبة ــرضي الله عنه- كيف تقول في هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: 105] قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيامًا الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم)، قلنا: منا أم منهم؟ قال: (بل منكم)، رواه أبو داود والترمذي.

وروى ابن وضاح معناه من حديث ابن عمر ــرضي الله عنهما- ولفظه: (إن من بعدكم أيامًا الصابر فيها المتمسك بدينه مثل ما أنتم عليه اليوم، له أجر خمسين منكم)، قيل: يا رسول الله، منهم؟ قال: (بل منكم)، ثم قال: أنبأنا محمد بن سعيد، أنبأنا أسد، قال: نا سفيان بن عيينة عن أسلم البصري، عن سعيد أخي الحسن يرفعه قلت لسفيان: عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، قال: (إنكم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في الله، ولم تظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش، وستحولون عن ذلك، فلا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان، فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين)، قيل: منهم؟ قال: (بل منكم). وله

بإسناد عن المعافري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (طوبى للغرباء، الذين يتمسكون بكتاب الله حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفأ).

*****الشرح*****

قوله: باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء: هذا التبويب من شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله- مناسب في فضل الإسلام، وذلك أن النفوس تقدم على الشيء إذا كثر المتمسكون به وانتشر وتنافس فيه المتنافسون، وتضعف الهمم ويقل التمسك إذا كان الشيء مرغوب عنه، ويلاقي من تمسك به شدة، فإذا كنت قد عرفت فضل الإسلام، وما فيه من الأجر العظيم، وما فيه من الرفعة والمنزلة عند الله عز وجل، وأنه الدين الذي لا يقبل الله غيره من الأديان، وأن الدين الذي يقدمه ويفضله الله عز وجل على سائر الأديان، وأنه الدين الذي ارتضاه ربنا لنا سبحانه وتعالى، وخص بهذا الدين خيرة خلقه من أنبيائه ورسله، وخص به خيرة كتبه القرآن الكريم، فإنه يلزمك إذا عرفت هذا الفضل العظيم، وفضل الإسلام، أن توطن نفسك أن تتمسك به في جميع الأحوال، وعلى أي حال كنت، وعلى اختلاف الأزمان وتغير البلدان، ولا يحملك التمسك به كثرة ولا يمنعك من التمسك به غربة.

فهذا الإسلام العظيم بالوصف الذي ذكره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ذكر أيضًا أنه سيكون غريبًا، وأنه كما بدأ غريبًا حيث أنه بدأ بمحمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن معه على هذا الدين إلا امرأة وعبد وغلام له، وصاحبه وابن عمه، أبو بكر وزوجه خديجة وغلامه زيد وبلال وابن عمه علي بن أبي طالب –رضي الله عنهم-، كان هذا الإسلام في أول الأمر، فكانوا يعدون على الأصابع، بل يقول عمرو بن عبسة –رضي الله عنه-: كنت خامس الإسلام.

وقال سعد بن أبي وقاص: أسلمت وأنا رابع الإسلام. أي من الرجال، وهذا دليل على غربة الإسلام في ذلك الزمان، ومع ذلك تمسك الصحابة –رضي الله عنهم- بالإسلام، ولاقوا في تمسكهم به البلاء الشديد بين تعذيب وضرب وبين طرد وبين قتل، ومع ذلك صبروا حتى أظهر الله الإسلام وأعلى كلمة أهله، فياسر وسمية –رضي الله عنهما- يقتلان من أجل التمسك بهذا الدين، فسمية يبطر بطنها وتقتل –رضي الله عنها-، وياسر –رضي الله عنه- يُقتل أيضًا وهو ثابت على دين الله عز وجل، وبلال –رضي الله عنه- يصب عليه العذاب صبًا، وخباب بن الأرت –رضي الله عنه- تطفأ حرارة النار على ظهره، وثبتوا حتى أظهرهم الله عز وجل، فعندما تتصور غربة الإسلام في أوله فأخبرك النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيعود غريبًا كما بدأ، فإذا بدأ بهذا الوصف

سيكون التمسك به أيضًا في آخر الزمان على هذا الوصف، وإذا عظم أجر الأوائل بتمسكهم فكذلك سيعظم أجر الأواخر بتمسكهم، ولذا يُعطى المتأخرون على تمسكهم بدين الله عز وجل أجر خمسين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ويعطون أجر أول الأمة لعظيم ما هم فيه من الشدة والبلاء، ويفضل أولئك من جهة البلاء والشدة على الصحابة –رضي الله عنهم- أن الصحابة معهم ما يسليهم وما يثبتهم وهو رسولنا صلى الله عليه وسلم، وأما المتأخرون الغرباء في آخر الزمان فليس معهم الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يثبتهم بذاته وإن كان معهم بسنته، فهذا هو وجه الربط بين الغربة في الأول والغربة في الأخرى.

قوله: وقول الله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ} [هود: 116]: وفي هذا إشارة أن الغربة إنما تظهر وتقوى على أهل الحق الذين ينصرون دين الله عز وجل، وهم الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر، الصالحون في أنفسهم المصلحون لغيرهم، فعندما يأمر وينهى فإنه سيعيش غربة؛ لكثرة المخالف ولكثرة المعاند، وأما إذا كان صلاحه لنفسه ويقيم دينه في نفسه، فهو غريب بالنسبة لغيره، لكن ليست غربته كغربة الذي يأمر وينهى، ولذا امتدح الله الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في قوله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ} [هود: 116]، ولا ينجو من الهلاك والعذاب عند نزوله إلا من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأما غير الآمرين وغير الناهين مع قدرتهم فهؤلاء يلحقهم العتاب واللوم، ويلحقهم العذاب.

قوله: وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- مرفوعًا: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء)، رواه مسلم: طوبى هذه قيل إنها شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام، والصحيح أن طوبى معناها أعم، فطوبى له أي طاب منزله، وطابت كرامته، ويراد بها الجنة وما فيها من النعيم، فيدخل في طوبى الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام، ويدخل فيها جميع نعيم الجنة.

قوله: ورواه أحمد من حديث ابن مسعود –رضي الله عنه- وفيه: من الغرباء؟ قال: (النزاع من القبائل): هذا جاء من حديث الأعمش عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص عن ابن مسعود –رضي الله عنه- أنه فسر الغرباء بقوله: (النزاع من القبائل). ومراده بهذا أنه لم تجمعهم قبيلة ولم يجمعهم لون ولم تجمعهم حزبية أو طائفة، وإنما جمعهم هذا الدين والتمسك بكتاب الله عز وجل، ولا شك أن الناس أجرأ على من

هو دون قبيلة؛ لأن الناس يهابون من له قبيلة تدافع عن صاحبها، وأما هؤلاء فهذا من قبيلة وذاك من قبيلة وآخر من قبيلة، فجمعهم دين الله عز وجل، وهذا من باب الإخبار لا من باب المدح، أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن الغرباء أولئك في آخر الزمان هم النزاع من القبائل، وفيه أن الله يتفضل ويخص من يشاء بهدايته، وقوله: النزاع من القبائل. أنه ينزع من كل قبيلة الواحد والاثنان أو الثلاثة أو الأربعة، وأكثر القبيلة على خلاف ما عليه هذا الرجل، وهذا يدل على عظيم غربة ذلك الرجل؛ لأنه قال: (النزاع من القبائل)، فهم ينزعون من قبائلهم.

قوله: وفي رواية: (الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس): هذه الرواية منكرة، فيها إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك الحديث.

قوله: وللترمذي من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده: (طوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي): هذا أيضًا إسناده منكر، ففيه كثير بن عبد الله عن أبيه وهي سلسلة منكرة، وكثير قيل: إنه ركن من أركان الكذب، قال ذلك الإمام الشافعي، وعلى كل حال الغرباء هؤلاء تميزوا بأمور:

أولًا: بتمسكهم بدين الله عز وجل عند ترك الناس له.

ثانيًا: أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهذا من جهة غربتهم، وهذا مما يجلي غربتهم بين قومهم.

ثالثًا: أنهم يصلحون ما أفسد الناس، ويسعون في نجاة الناس، ويحيون سنة النبي صلى الله عليه وسلم عند اندراسها وذهابها، وذلك أن الناس يرون منهم التمسك بالسنة، وهذا حاصل وواقع، فمن الناس من لا يعرف السنة إلا إذا رأى من يتلبس بها، إما فعلًا وإما قولًا، إما أمرًا وإما امتثالًا، والغربة تتفاوت وتتباين من زمن إلى زمن، ومن طائفة إلى طائفة ومن حال إلى حال، فغربة أهل السنة بين أهل البدع ظاهرة، وغربة المتمسك بالسنة بين أهل السنة ظاهرة، وغربة العامل بالسنة بين التارك لها ظاهرة، وغربة أهل الصلاح بين أهل الفساد أيضًا ظاهرة، ولذا في آخر الزمان يكون المؤمن فيه أذل من الأمة؛ لأن الناس لا يبالون به، فإذا علمت ذلك وعلمت الفضل المترتب على التمسك بالدين، وعرفت أن الغربة هذه قد أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم وأنها واقعة لا محالة، حملك ذلك على التمسك بهذا الدين، ولا يضرك من هلك كيف هلك، ولا يضرك من زاغ قلبه إذا زاغ، وإنما عليك أن تصلح نفسك وتتمسك بدين الله عز وجل، فلك طوبى في الجنة ولك عظيم الأجر ومضاعفة الثواب عند تمسك بهذا الدين، فجاء في الحديث الذي ذكره ليبين فضل الغربة أن له طوبى، وأيضًا من فضلها أن أجره

مضاعف، ومضاعفة أجره فيما رواه أبو داود وغيره من حديث أبي ثعلبة الخشني الآتي.

قوله: وعن أبي أمية قال: سألت أبا ثعلبة –رضي الله عنه- كيف تقول في هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: 105] قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم)، قلنا: منا أم منهم؟ قال: (بل منكم)، رواه أبو داود والترمذي: هذا الحديث من حديث أبي أمية الشعباني وفيه جهالة، وأيام الصبر هذه يحتاج المسلم فيها أن يصبر على البلاء الذي سيلاقيه من الشدة، بلاء معنوي، وبلاء حسي، معنوي من ازدراء واستهزاء وسخرية وتطاول أهل الفساد والباطل على المتمسكين بدين الله عز وجل، وهذه سنة أخبر الله عز وجل عنها عن حال المجرمين {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} [المطففين: 29، 30]، فهذا حال الفجرة والكفرة وأهل الضلال مع أهل الدين والحق، فهي أيام يحتاج المسلم فيها إلى أن يعظم صبره وأن يصبر فيها، وصبره لا شك أن فيه شدة، فشبه النبي صلى الله عليه وسلم الصبر في تلك الأيام والمتمسك بدينه في تلك الأيام كالقابض على الخمر، ولا شك أن القابض على الجمر لا يطيقه أحد، ولا يستطيع عليه أحد، فمن لم يصبر ولم يتمسك بدينه مع شدة ما يلاقيه وإلا إن تتولى يستبدل قومًا غيركم، ومن زاد فإنما يزيغ على نفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها وما ربك بظلام للعبيد.

والعبرة في أيام الغربة ليس بكونك غريب وإنما العبرة في زمن العبرة أن تكن عاملًا، فكثير من الغرباء لا يعمل، وإنما هو غريب بشكله وظاهره وأما باطنه فليس فيه من الغربة شيء، فالغربة الحقيقة ليست بالظواهر والشكل وإنما الغربة الحقيقية بمخالفة أهل الوقت والزمان للعمل، فإذا عمل الإنسان في مثل هذه الأوقات، في وقت الهرج كهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، في وقت إعراض الناس عن دين الله وكثرة الفتن والشهوات وأهل الفساد فإن أجره يضاعف ويعظم ويكون أجره كأجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمل الصحابة، فإذا عمل عملًا فكأنه عمل عمل خمسين رجلًا، وإذا أعطي خمسون رجل أجرهم على عمل فإن هذا العامل الذي في آخر الزمان يعطى مثل

أجرهم، فقال الصحابة: منا أم منهم؟ قال صلى الله عليه وسلم: (بل منكم)، وهذا الحديث حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية، وفي إسناده أبو أمية الشعباني وفيه جهالة.

وليس في الحديث دلالة على فضل المتأخرين على المتقدمين، أو فضل من أتى في آخر الزمان على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وليس كثرة الأجر تدل على الفضل، فإن التفضيل إما أن يكون بالكيف، وإما أن يكون بالكم، فقد يعطى الإنسان من جهة الكم أجرًا أكثر لكن من جهة الكيفية يكون أجر المتقدم أعظم وأكثر، فالنبي صلى الله عليه وسلم أن الصحابة وإن عملوا قليلًا فأجرهم عظيم، كما جاء في الصحيح: (لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)، فالصحابي يقدم مدًا من صدقة لو قدمت أنت أو من سيأتي بعدنا لو قدم جبلًا من الصدقة أو من الأعمال كان المد الذي يقدمه الصحابي أفضل من ذلك الجبل الذي يقدمه من أتى بعد الصحابة، فهذا من جهة الكم أكثر وهذا من جهة الكيف أفضل، فالذي يأتي بعد الصحابة من جهة الكم عمله أكثر، ولكن من جهة الكيفية ما يعمله الصحابي أفضل، فالصحابة أفضل مطلقًا، وهذا أيضًا مما يسلي المؤمن في آخر الزمان إذا اشتدت غربته أن يتمسك بدينه، فإن أجره عظيم.

قوله: وروى ابن وضاح معناه من حديث ابن عمر –رضي الله عنهما- ولفظه: (إن من بعدكم أيامًا الصابر فيها المتمسك بدينه مثل ما أنتم عليه اليوم، له أجر خمسين منكم)، قيل: يا رسول الله، منهم؟ قال: (بل منكم): وهذا إسناده ليس بصحيح.

قوله: ثم قال: أنبأنا محمد بن سعيد، أنبأنا أسد، قال: نا سفيان بن عيينة عن أسلم البصري، عن سعيد أخي الحسن يرفعه: وهذا مرسل.

قوله: قلت لسفيان: عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، قال: (إنكم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في الله، ولم تظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش، وستحولون عن ذلك، فلا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان، فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين)، قيل: منهم؟ قال: (بل منكم): وهذا الحديث أيضًا إسناده ضعيف لإرساله، ومعناه صحيح، فإن الأوائل كان فيهم العلم، وكان فيهم إيثار الآخرة على الدنيا، وكانوا فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وظهر فيمن بعدهم سكرة الجهل، وسكرة حب الدنيا، وأما الذين يأتون في آخر الزمان، فهم لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر، ولا يجاهدون في الله، ومع هذا كله أيضًا يظهر فيهم الجهل وحب العيش، فمن أمر بالمعروف في ذلك الوقت ونهى عن

المنكر وجاهد في سبيل الله، فله أجر خمسين مثل أجور أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في نفس العمل، وهذا من جهة الثواب وعدد الحسنات، وأما من جهة الكيفية فعمل الصحابي أفضل وأعظم، وهذا كله من باب إظهار فضل المتمسك بدينه في آخر الزمان، وفيه أيضًا فضل الإسلام أولًا وآخرًا، ففضله ظهر على الأوائل وظهر على من تمسكوا به على مر الأزمان ويعظم فضله أيضًا على المتمسك به في آخر الزمان.

قوله: وله بإسناد عن المعافري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (طوبى للغرباء، الذين يتمسكون بكتاب الله حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفأ):

وهذا إسناده ضعيف، لكن معناه صحيح، فطوبى لأولئك المتمسكين بدين الله، والعاملين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، القائمين بما أوجب الله عليهم، المحافظين على هدي رسولهم صلى الله عليه وسلم، فطوبى لهم وعظّم الله أجورهم، وأثابهم أعالي الدرجات، وأنزلهم أعالي المنازل في الجنات.

الشريط: 16.

*****المتن*****

باب التحذير من البدع

عن العرباض بن سارية –رضي الله عنه- قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: (أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عيها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وعن حذيفة –رضي الله عنه- قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا، فاتقوا الله يا معشر القراء! وخذوا طريق من كان قبلكم، رواه أبو داود.

وقال الدارمي: أخبرنا الحكم بن المبارك، أنبأنا عمرو بن يحيى، قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه- قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري –رضي الله عنه- فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت آنفًا في المسجد أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن غشت

فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويْحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال: عمرو بن سلمة –رضي الله عنه- رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج.

هذا آخر ما تيسر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****الشرح*****

قوله: باب التحذير من البدع: ختم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كتابه فضل الإسلام بهذا الباب العظيم وهو التحذير من البدع، فلما ذكر الإسلام وذكر فضله، وذكر ما يتعلق بغربة أهله، وأن المتمسك به ينال شيئًا من الغربة بتمسكه، بيّن بعد ذلك خطر البدع، وحذّر من البدع –رحمه الله-، وأصل ذم البدع ما جاء في الصحيح عن عائشة –رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)[33]، وحديث العرباض الذي ساقه هنا قال فيه صلى الله عليه وسلم: (وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)، وكل ضلالة في النار.

والبدعة أصلها من الاختراع والابتداع على غير مثال سابق، كما قال من مر عليه أعربي: أنا أبدعتها. أي أنا ابتدأتها واخترعتها في بئر طواها، وأما من جهة الاصطلاح فاختلف كلام أهل العلم فيها، فمنهم من عرفها كالشاطبي في (الاعتصام) بأنها طريقة في الدين مخترعة تضاهي الطريقة الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى.

33

ففي هذا التعريف قيود:
القيد الأول: أن يقصد أنها مخترعة.
القيد الثاني: تضاهي الطريقة الشرعية.
القيد الثالث: أنه يتعبد لله عز وجل بها، فلو أحدث شيئًا لا يتعبد الله به فأصبح في دائرة المباحات، وأما إذا تعبد لله بهذا المحدث أصبح مبتدعًا.
وقيل: هي كل أمر وُجد سببه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفعله، فإن فعله يكون بدعة.
والبدعة تنقسم إلى قسمين:
القسم الأول: بدعة أصلية، وهي التي ليس لها أصل سابق في الشرع، وهذا ما يتعلق ببدع الجهمية وبدع الخوارج وغيرها من البدع التي ليس لها أصل سابق، وأيضًا من الأفعال، كبدعة المولد النبوي، فليس لها مثال سابق حتى يقاس به.
القسم الثاني: بدعة إضافية، وهي التي يكون أصلها مشروع ثم يضاف إليها شيء يخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم، مثل أن يصلي في وقت النهي تعبدًا لله بهذه الصلاة، فهو مبتدع، وإن كانت الصلاة في أصلها مشروعة، وكذلك مثل أن يصوم اليوم الذي نُهي عن صيامه ويتعبد بذلك فهذا بدعة؛ لأنه وإن كان الصيام في أصله مشروع، وكذلك الأوراد والأذكار التي يخصصها أهل البدع في أزمنة معنية وبعدد معين لم يشرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا يدخل في البدعة.
والبدع كلها مذمومة، وليس هناك بدع حسنة، وقد قسمها بعضهم إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة، فما كان منها حسن فهو مشروع ولا يسمى بدعة إلا من جهة المعنى اللغوي، وفي قول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- في قوله: نعمت البدعة هذه. لمن صلوا التراويح جماعة، فمراده لم يكن هذا حادثًا في عهد أبي بكر الصديق وإنما وقع عهده –رضي الله عنه- وجمع الناس عليها، وإلا فأصل مشروعية الصلاة جماعة في قيام رمضان سنَّه النبي صلى الله عليه وسلم، وحث عليه ورتب الأجر على فعله.
وأما من قسم البدعة إلى خمسة أقسام كالأحكام التكليفية، بدعة واجبة، وبدعة مستحبة، وبدعة محرمة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة، فهذا التقسيم قسمه العز بن عبد السلام وغيره، وقد رده غير واحد من أهل العلم كالشاطبي وشيخ الإسلام، وقال: إن البدع كلها مذمومة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)، فليس هناك بدعة محمودة وليس هناك بدعة واجبة، وليس هناك بدعة مستحبة، وليس هناك بدعة مباحة، وهذا ما يتعلق بباب العبادات، وأما العادات فبابها واسع؛ لأن

البدع قد تطلق وتدخل في العبادات، وقد تطلق وتدخل في العادات، وأما باب العادات وإن شدد بعض السلف في وصفها بأنها بدعة فإنها لا تدخل في المعنى الشرعي، ويجوز الابتداع في باب العادات من جهة الوسائل ومن جهة المآكل والمشارب ومن جهة الملابس والمراكب، فيجوز ذلك كله، ولا يدخل في العادات لا تحريم ولا تحليل إلا ما خالف الشرع، وأما من جهة العبادات فالعبادات توقيفية ولا يزاد في شرع الله شيء لم يأت به محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يُتعبد بعبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا نتعبد إلا بما تعبد به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا من جهة أن البدع كلها مذمومة.

ولو سلمنا أن هناك شيء واجب وهو محدث فإنه يدخل تحت المصالح المرسلة، والمصالح المرسلة يكون أصلها مشروع ويكون ذلك من باب الوسائل، فمثلًا ما يسمى بطباعة الكتب أو طباعة المصاحف، فأصله مشروع وإنما هذا من باب وسائل نشر العلم، والبدع تدخل في الغايات ولا تدخل في الوسائل، فالنداء غاية ورفع الصوت به ومكبرات الصوت هذه وسائل، فلو كبّر بمكبرات، فالغاية واحدة وهي أن يأتي بجمل الأذان التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم، وأما الوسائل فبابها واسع، ولذلك يقال: إن البدع في الغايات وليست في الوسائل، مثل الكتب والأشرطة وهذه الأمور التي يقصد بها نشر الدين ونشر العلم، فهذه من المصالح المرسلة ولا تسمى من البدع المحدثة، فإذا ضبطنا هذا الأصل: أن كل عمل أصله مشروع أو يكون فيه زيادة في إقامة شرع الله، أو تقوية لدين الله عز وجل، فإنه لا يدخل في حد البدع وإنما يدخل في المصالح التي أمر الشارع بتحقيقها، فالشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكثيرها ودفع المفاسد وتقليلها، فيدخل هذا في هذا الباب.

وكذلك أيضًا من جهة حكم المبتدع لا بد أن يعرف في حكم المبتدع أن تنزل عليه شروط التبديع، فلا بد أن يكون هناك علم من المبتدع، وجود العلم وإقامة الحجة، وإن كانت البدعة واضحة فيكفي بذلك بلوغ الحجة، وإن كان فيها شبهة وتحتاج إلى بيان فلا بد من تبيين وفهم الحجة أيضًا، فإن توفرت الشروط فيه وبينت له الحجج، ودفعت عنه الشبهات يسمى بعد ذلك مبتدعًا ضالًا، والناس في فعل البدع منهم من يعلم المخالفة فيأثم، ومنهم من لا يعلم المخالفة فيؤجر من جهة قصده ولا يثاب من جهة فعله، فقد يتعبد الإنسان بعمل فاسد من جهة أنه محدث، لكن مقصده وجه الله عز وجل، فحصّل الإخلاص لكنه لم يصب الطريقة الحسنة، والله يقول: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: 110]، ولا يسمى صالحًا إلا

إذا كان خالصًا صوابًا أي متبعًا فيه سنة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن أصاب الإخلاص ولم يصب الاتباع أُجر إن كان جاهلًا بالاتباع، وأما إذا كان عالمًا بمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤجر على إخلاصه ولم يؤجر على عمله بل يأثم على مخالفته.

ومن جهة أنواع البدع، فالبدع منها ما هو مكفر، ومنها ما هو مفسق، فالبدع المكفرة التي يكون مبتدعها خارج عن دائرة الإسلام، كبدعة الجهمية في تعطيل أسماء الله وصفاته، وكبدعة القبورية في عبادة الأولياء والصالحين، فهؤلاء بدعتهم مكفرة تخرجهم من دائرة الإسلام.

قوله: عن العرباض بن سارية –رضي الله عنه- قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: (أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عيها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح: هذا الحديث إسناده جيد، جاء فيه رجلان مجهولان تابع بعضهما الآخر، ولكونهما مجهولين في طبقة التابعين ولقد تابع أحدهما الآخر فهذا مما يقوي الحديث ويحسنه، والشاهد من هذا الحديث قوله: (وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)، محدثات الأمور التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بدين الله عز وجل، وليس كل محدثة بدعة؛ لأن المحدثات منها ما هو محمود وهو ما يتعلق بالعادات أو الصناعات، أو ما يتعلق بالأمور الدنيوية، فهذا يُحمد ما كان فيه نصرًا للإسلام والمسلمين أو نفعًا للمسلمين، وقد قال الشافعي: المحدثات منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم. فما كان في الدين وأحدثه ولم يكن له مثال سابق وتعبد الله به فإنه مذموم، (فإن كل بدعة ضلالة)، وهذا نص صريح على أن البدع كلها ضلال، ويرد على من قال: إن من البدع ما هو واجب وما هو هدى أو ما هو حسن. فليس هناك بدعة حسنة في الإسلام بل البدع كلها ضلال.

قوله: وعن حذيفة –رضي الله عنه- قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا، فاتقوا الله يا معشر القراء! وخذوا طريق من كان قبلكم، رواه أبو داود: وهذا إسناده صحيح[34]، وقد جاء في البخاري عن حذيفة: يا معشر القراء استقيموا فإن استقمتم فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، وإن ضللتم فقد ضللتم ضلالًا

[34] المفرغ: ينظر في قول الشيخ: إسناده صحيح. لأنه ذكر أن الحديث ليس في سنن أبي داود بعد ذلك.

بعيدًا. بمعنى أنه يجب على من تمسك بهذا الدين أن يستقيم على دين الله عز وجل، ولذلك جاء عن معاذ أنه قال: يوشك أحدكم أن يقرأ القرآن فيقول: ما لي لا أرى الناس يتبعوني، فيبتدع بدعة يتبعه الناس فيقول: فإياكم وما أحدث. والنفوس ترغب بأن تتميز بشيء لا يشاركها فيه غيرها، ولأجل هذا كثرت البدع والخرافات بين العباد، الذين ينتسبون للعبادة والصلاح، تجده يبتدع شيئًا من الأذكار أو شيئًا من الأعمال لا يشاركه فيه غيره حتى يرأس ويُتبع في ذلك.

قوله: وقال الدارمي: أخبرنا الحكم بن المبارك، أنبأنا عمرو بن يحيى، قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود ــرضي الله عنه- قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري ــرضي الله عنه- فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا: وهذا يدل على عظيم فضل عبد الله بن مسعود ــرضي الله عنه- عند أبي موسى الأشعري ــرضي الله عنه-، فأبو موسى ينتظر أبا عبد الرحمن ليسمع منه ويجلس له، وقد أتى أبو موسى سائلًا مستفصلًا لابن مسعود عن شيء رآه.

قوله: فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت آنفًا في المسجد أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن غشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك: هذا يدل على ورع أبي موسى الأشعري ــرضي الله عنه-، فهو عندما رأى مثل هذا المنظر لم يفتت بقول شيء لا يعلمه، ولم يفتات على من هو أعلم منه، وإنما قال: أنتظر حتى أرى رأيك وأسمع مقالك.

قوله: قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويْحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا

إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال: عمرو بن سلمة –رضي الله عنه- رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج: هذا الحديث رواه الدارمي من حديث الحكم بن المبارك، والحديث في إسناده عمرو بن يحيى بن عمرو بن سلمة بن الحارث الهمداني، قال ابن معين فيه: ليس حديثه بشيء. وقال ابن عدي: ليس له كبير شيء. وأيضًا أبو يحيى بن عمرو بن سلمة ذكره أبو حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، ويبقى أن علة الخبر هو تفرد هذا الابن وهو عمرو بن يحيى عن أبيه عن جده، ومع ذلك فهذا الحديث وإن كان إسناده ضعيف فهو يدل على أن هؤلاء القوم ابتدعوا عملًا لم يفعله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وهو اجتماعهم على الذكر، فلو سبّح الله كل واحد على حده لما قيل فيه ما قال ابن مسعود، وإنما الذي أنكره ابن مسعود –رضي الله عنه- أنهم اجتمعوا حلقًا ويأمرهم أحدهم أن يسبح هذا مائة، وهذا مائة، وهذا مائة، ثم يحمد ثم يكبر، وهكذا، فجعل اجتماعهم هذا هو المحدث، أنهم اجتمعوا على شيء لم يفعله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ويْحكم يا أمة محمدا! ما أسرع هلكتكم. أي أنكم هلكتم بمخالفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم وهدي أصحابه، ولو كان هذا خيرًا لأمر به النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كان خيرًا لفعله أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكرنا ضابطًا في البدع: أن كل ما وُجد سببه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولم يفعلوه فإنه يكون بدعة، وهذا أمر وُجد سببه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يجتمع هو وأصحابه ومع ذلك ما كان يأمرهم أن يسبح هذا مائة ولا ذاك مائة ولا الآخر مائة، وإنما يوصيهم بالذكر مطلقًا، ثم يرجع كل واحد منهم يسبح الله بينه وبين نفسه، فالذي أنكره ابن مسعود هو الاجتماع على هذا الذكر، ويلحق بهذا كل اجتماع لم يرد مشروعيته في السنة، كالاجتماع على التكبير، والاجتماع على التحميد، والاجتماع على التهليل، أو ما يسمى بالتكبير الجماعي، أو الدعاء الجماعي، فكل هذا يدخل في هذا المعنى، وخاصة إذا كان مرتبًا يعتاده أصحابه.

وأما لو وقع الدعاء مع أحدهم وأمن جماعة على دعائه اتفاقًا لا قصدًا فهذا لا يدخل في هذا المعنى، والذي يدخل إذا رُتب هذا العمل وأصبح معتادًا يفعلونه كل صبح، أو كل ظهر، أو كل عشاء، ويعتادون هذا، فهذا يدخل في حيز المحدثات والبدع،

مع أنهم يطيعون الله، بمعنى أنهم يذكرون الله جل وعلا، وذكرنا أن البدع منها ما هو أصلي، ومنها ما هو إضافي، فتكون هذه البدعة في حيز الإضافة.

ولذلك يقول الثوري: إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل. وهكذا يجب على المسلم أن تكون عبادته دائمًا على أثر، وعلى اقتفاء، وألا يتعبد الله بعبادة إلا وله فيها سلف، خاصة ممن هو حجة في فعله كأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كما ذكرنا أن فعل الصحابة يكون حجة إذا لم يخالفه صحابي آخر، أو لم يخالف نص عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأما ما دون الصحابة فهم ليس أفعالهم حجة باتفاق أهل العلم.

فإذا أن تتعبد الله بعبادة فاعلم أن العبادات توقيفية، ومعنى ذلك أنه لا بد من دليل عليها، خاصة إذا أردت أن تتعبد بعمل وترتب له وقتًا وتجتمع عليه، فإن هذا يحتاج إلى دليل.

ولذلك فإنكار ابن مسعود ليس في تكبيرهم، وليس في تهليلهم، وليس في ذكرهم لله عز وجل، وإنما إنكاره في اجتماعهم، وأمر بعضهم بعضًا أن يسبحوا مائة ويهللوا مائة ويحمدوا مائة، وهذا وإن كان عمل صالح إلا أنه يدخل في حيز البدع، والأصل أن أكثر البدع تكون من طريق شيء أصله مشروع، إما من جهة صلاة كصلاة الرغائب، أو كصلاة ليلة الإسراء والمعراج، وكصلاة أول خميس من رجب، فأصلها صلاة لكن تخصيصها في هذه الأيام هو الذي جعلها بدعة، أو تخصيص ليلة الجمعة بقيام أو تخصيص يوم الجمعة بصيام لذاته، فهذا مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، والتعبد به يكون من المحدثات.

وهذا الذي ختم به الشيخ –رحمه الله- في التحذير من البدع، ليبين أن تمام التسليم لله عز وجل أن تتبع هدي محمد صلى الله عليه وسلم، ولن تنال كمال فضل الإسلام وتتحلى وتكون من أهله إلا بتحقيق تمام التسليم لشرع الله عز وجل، وأنك بقدر ما تترك من التسليم من المحدثات أو البدع فيكون قد فاتك الفضل العظيم بتمسكك بهذا الإسلام.

وإسناد العرباض جاء من طريق عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، عن عرباض بن سارية، وعبد الرحمن بن عمرو السلمي هذا فيه جهالة، ولكنه قد توبع برجل مجهول.

وأما أثر حذيفة –رضي الله عنه- فقال: رواه أبو داود. وليس هذا اللفظ في سنن أبي داود، وإنما الذي في البخاري عن حذيفة أنه قال: يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا، لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا.

وبهذا نكون قد ختمنا هذا الكتاب، الذي أسأل الله عز وجل أن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يعظم لنا به الأجر والمثوبة، وأن يرزقنا له الفهم والعمل بما دل عليه، والله تعالى أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سؤال ورد للشيخ:

س: هل القراء الفقهاء؟.

جـ: الأصل عند الأوائل أن القراء هم الفقهاء، كما جاء في الموطأ عن ابن مسعود أنه قال لإنسان: إنك في زمان كثير فقهاؤه، قليل قراؤه، تحفظ فيه حدود القرآن، وتضيع حروفه، قليل من يسأل، كثير من يعطي. يطيلون فيه الصلاة، ويقصرون الخطبة يبدون، أعمالهم قبل أهوائهم، وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير قراؤه، يحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده، كثير من يسأل، قليل من يعطي، يطيلون فيه الخطبة، ويقصرون الصلاة، يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم[35]. والأصل أن القراء هم الفقهاء، لكن مراده هنا من قرأ القرآن وتدبره وفهمه، فقول حذيفة: يا معشر القراء. أي يا من قرأتم القرآن وحفظتموه وفهمتموه، لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا وخالفتم القرآن فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا؛ لأن أول من يعذب في النار من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي يقرأ القرآن ولا يقصد به وجه الله عز وجل، وإنما قرأ ليقال له قارئ، ولذلك أول ما يعذب:

وعالم بعلمه لم يعملن **** معذب من قبل عباد الوثن

مع أن هذا البيت فيه نظر؛ لأن المراد بالتعذيب هنا ما يتعلق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإلا فالمشركين والكفار فهؤلاء يعذبون قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ودليله أن الكفار إذا بُعثوا من قبورهم يطلبون الماء فيشار إلى النار يحطب بعضها بعضًا، فيتساقطون في نار جهنم ولا يبقى إلا هذه الأمة، ومعها المنافقون.

المفرغ: إلى هنا انتهت الملفات الصوتية.

35